الخيال

للامام المجدد السيد محمد ماضي ابوالعزائم

مسجده وضريحه ومكتبته العلمية بالقاهرة

ومشيخة الطريقة العزمية

السيدة زينب تقاطع شارع مجلس الشعب مع تقاطع شارع بورسعيد

تليفون المكتبة / 002 022 3901030

وَفِـــيّ مِـــنَ ٱلْمَعَـــانِي وَٱلْمَبَـــانِي ... غَرَائِـــبَ قَـــدْرَةٍ أَخْفَـــتْ عِقَـــالِي
أَلَحْـــتَ لِـــيَ ٱلْمَعَـــانِي فِـــي مَبَـــانٍ ... لِتَظْهَـــرَ لِـــي بِكَشْـــفٍ لاَ خَيَـــالِ
خَيَـــالِي حَجَّـــبَ ٱلأَسْـــرَارَ عَنِّـــي ... وَقَـــدْ فَارَقْتُـــهُ قَبْـــلَ ٱلْوِصَـــالِ
خَيَـــالٌ صَـــوَّرَ ٱلآثَـــارَ يَقْـــوَىٰ ... عَلَـــىٰ تَصْـــوِيرِ مُقْتَـــدِرٍ وَوَالِ ؟!
وَعَقْـــلٌ مَيَّـــزَ ٱلآثَـــارَ يَقْـــوَىٰ ... عَلَـــىٰ إِدْرَاكِ غَيْـــبِ ٱلْمُتَعَـــالِي ؟!
فَهَـــبْ لِـــي مِنْـــكَ أَبْصَـــارًا وَسَـــمْعًا ... لِأَسْـــمَعَ مِنْـــكَ أَصْـــغِي لِلْمَقَـــالِ
وَأَبْصِـــرُ غَيْبَـــكَ ٱلْعَـــالِي عِيَانًـــا ... بِأَبْصَـــارٍ وَهَبْـــتَ مِـــنَ ٱلْمَجَـــالِي
بِقَـــدْرِ ٱلْقُـــرْبِ مِنْـــكَ وَأَنْـــتَ رَبِّـــي ... أَنَـــا ٱلْعَبْـــدُ ٱلـــذَّلِيلُ أَجِـــبْ سُـــؤَالِي

محمد ماضي ابوالعزائم

فاتحة الكتاب

الحمد لله الذي خلق الإنسان في أحسن تصوير ، وأجمل فيه العالم الكبير ؛ فكان مملكة لها ملك ووزير ، وفيها العظيم والحقير ، ثم فصل الجسم الصغير في الكون الكبير ، ولا ينبئنك مثل خبير ، خلق الإنسان ولم يسبق له مثال ، وخلق له أعضاء يؤدى بها الأعمال ، وجعل العقل ليكون له عقال ، وأنشأ فيه الوهم والخيال، ونشر فى الجسد الحس لينقذه من الأهوال ، فسبحان القوى المتعال.

والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ، خير الخلق وأعلاهم ، وأحسنهم وأبهاهم ، أبلغ البلغاء ، وأعقل العقلاء ، وناصر الضعفاء ، ملجأ الحيارى ، ومنقذ البرايا .

اللهم صل وسلم على الإنسان الأكمل فى صورته البشرية ، والنور الأعظم الذي لا يحيط بعظمته إلا أنت يا أله فى معناه .

وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين ، الآمرين بالمعروف ، والناهين عن المنكر ، والحافظين لحدود الله ، ورضي الله تبارك وتعالى عن الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبي العزائم ، الذي جدد الله به معالم الدين ، وحفظه به من كيد الكافرين ، وزيغ الزائغين ، وخيانة المنافقين ، وعن خلفائه الكرام أجمعين ...

وبعد ..... فتقدم دار الكتاب الصوفي الطبعة الأولى من كتاب (الخيال) وهو كتاب جديد من تراث الإمام أبو العزائم ، صغير حجمه ، عظيم قدره ؛ إذ يتناول موضوعا جديدا قلما يتناوله المتحدثون ، أو يطرق بابه الباحثون ، ألا وهو الخيال .

الخيال لوح تنتقش عليه صور الأحداث والمواقف ، ويمكن استدعاؤها في أي وقت ، وبها يحكم الإنسان على الموقف بالسلب أو الإيجاب من خلال تلك الصور المنقوشة فى خياله سابقا ؛ فلو أنك رأيت شخصا فى موقف سيء ومرت شهور أو أعوام والتقيت به فى عمل ما ؛ فإنك تنفر منه بمجرد النظر إليه ، وذلك لأن خيالك قد انتقش فيه صورة سيئة لهذا الشخص ، وهذه الصورة تظهر فور وقوع نظرك عليه ، وبالتالي تحكم عليه فورا من خلال تلك الصورة .

بل إن الخيال يرسم صورا لما يمر بك فى حياتك اليومية ؛ فلو زرت بلدا ما ، وتنقلت بين شوارعها وبيوتها ومر على ذلك مدة ؛ فإنك بمجرد أن تُسأل عنها تظهر لك صفحة من الخيال المنقوش عليها صورة كل ما رأيته فى هذه البلدة ؛ فتصفها وخيالك يسير بك في شوارعها وبيوتها.

والمريد بعد تزكية نفسه يستطيع خياله أن يتمثل ما غاب عن بصره المادي ؛ فالأعمى مثلا يمكنه أن يحب حبا شديدا أو يبغض بغضا شديدا وذلك حسب تلك الصورة التي انتقشت على لوح خيال ، رغم أن بصره لم يقع على شيء مما صوره خياله ، كذلك فالخيال يمثل صور المعنويات التي لم يرها المؤمن ولم يعرفها إلا عن طريق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؛ فيمثل الخيال الصافي صورة الجنة وما فيها ، فيكون المؤمن فيها من الراغبين ، وإليها من المسارعين . ويتمثل العذاب الأليم ؛ فيكون من الخائفين ، وفى الدنيا من الزاهدين ، وإذا تحدث عن الجنة أو النار كان سامعه كأنه دخلهما ورأى ما فيهما؛ فينمو فى قلبه الرغبة والرهبة ، والحذر والطمع .

ولم يقف دور الخيال عند هذا الحد ؛ فالخيال يرسم صورة المعلوم فى نفس العالم ؛ فإذا رسم المعلوم فى نفس العالم كان وصفه للسامع أمرا هينا ، وهذا هو الفارق بين الناقل والعالم بالله ؛ إذ العالم بالله قد انتقشت صورة ما علمه في نفسه ، فيتكلم عن علم يقين ، فينتقش كلامه في نفس السامع.

ولا يتوقف ذلك الدور العظيم الذى يؤديه الخيال عند هذا الحد ؛ بل إن خيال المريد الصافي يستطيع أن يتمثل صورة المرشد الذى يوصله إلى رسول الله ، ومتى انتقشت صورة المرشد فى خيال المريد ؛ ارتقى إلى مراقبة رسول الله ، فأمكنه أن يتخيله بهيكله النوراني ، ولديها يأنس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى كل أحواله ، يقول الإمام أبو العزائم عن

هؤلاء الرجال :

رجـال لهـم حـال مـع الله ظـــــــــــــــــاهر وحـال مـع المختـار فـى كـل لحظـــــــــــــــــة

والكتاب يتكون من أربعة أبواب وعدة فصول :

الباب الأول : الإنسان وقواه .

يعرف فيه الإمام أبو العزائم الإنسان ، ويبين قواه وأنواعها ووظائفها ، حتى تنقش فى نفس القارئ صورة كاملة عن الإنسان وموضع القوة المتخيلة من تلك القوى .

الباب الثاني : الخيال مكانته ووظيفته .

وفيه بيان موضعه ، ومكانته بين القوى ، والدور الذي يؤديه بينها ، ودوره في تزكية النفس ، وتمثل النعيم والجحيم ، وأثر ذلك على المؤمن .

الباب الثالث : الخيال والعقيدة .

وفيه بيان دور الخيال في العقيدة ، من حيث تخيل المرشد ، ثم الترقي إلى تخيل بعض معاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لكنه يعجز عن القرب من الذات الأحدية ، وبيان حقيقة ذلك .

الباب الرابع : أسباب فساد الخيال وعلاج ذلك .

لأهمية الخيال في الإنسان لم يترك الإمام أبو العزائم الإشارة إلى أمراضه وبيان ما يفسده ، وتأثير الخيال الفاسد على العقيدة ، خاصة عقيدة النصارى ، وكذلك أثره على المبتدعين والمتساهلين ، ثم بين رضي الله عنه كيفية العلاج . وبذلك وضع الإمام أبو العزائم رضي الله عنه منهاجا للمريد يقيس به أحوال نفسه .

والله نسأل أن ينفع بهذا الكتاب كما نفع بما سبقه من تراث الإمام رضي الله عنه ، والله من وراء القصد وبه العون والتوفيق .

دار الكتاب الصوفي
يوم الأحد

١٤ ربيع الآخر ١٤٢٩هـ

٢٠ أبريل ٢٠٠٨م

السيد محمد علاء الدين ماضي أبو العزائم

شيخ الطريقة العزمية

الإنسان وقواه

الإنســـــان

مملكــة عظيمــة، وعــالم صــغير، الــنفس: ســلطان المملكــة، والعقــل: وزيرهــا، والقــوى: جنودها، والحس المشترك : صاحب بريدها، والأعضاء: خدمها، والبدن كله: محل المملكة

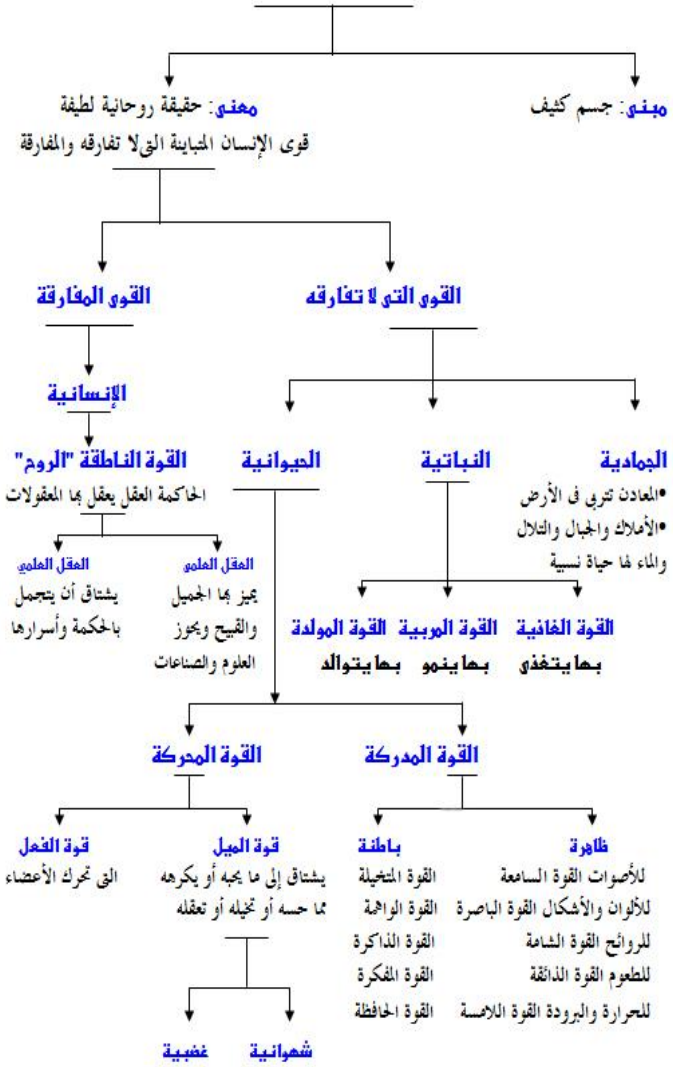

الجسم :

تعلم أن الإنسان جسم ونفس وحس، والجسم جوهر جسمانى ذو طعم ولون ورائحة وأبعاد، وحركة وسكون، وخشونة ولين، ورخاوة وصلابة، مكون من أخلاط متضادة، وطبائع عن الترقى صادة، وتلك الأخلاط هى البلغم والمرة السوداء، والدم والمرة الصفراء، وتلك الأمزجة مكونة من أركان الوجود وهى : الماء والهواء والتراب والنار، أشار إلى ذلك القرآن المجيد بقوله تعالى: ((خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ)) (الرحمن:١٤) يدل على أن فيه النار لأن الفخار ما أحرق من الطين، فالجسم متباين الأجزاء فهو متغير متحول منفسد، وإنما جماله الحيوى وبهاؤه الإنسانى إذا اتحد بالنفس التى بها الحياة، وبالحس الذى به نيل ما يتمناه ، فإذا فارقته النفس، فقد الحياة والحس.

قوى النفس

زعم الخراصون الذين بحثوا فى العلوم والطبيعة بقوة الهوى والحظ أن النفوس فى الهيكل الإنسانى ثلاثة : الحس والجسم والنفس . وكذبوا، لأن النفوس لوكانت ثلاثة وفقد الحس بالنوم أو بالإغماء أوبضياع قوة من قواه المركزية كالسمع والبصر أو الشم أو الذوق لفقدت النفوس كلها ، أوفقد الجسم أطرافه بالبتر لفقدت النفوس كلها ، وإنا لنرى الإنسان يفقد حسه بالنوم أو بالإغماء أو بمرض عضال وهو حى يرزق . والحقيقة أن النفس واحدة ولها ثلاث قوى ولكل قوة منها أعمال خاصة ، وقد بينت ذلك بالتفصيل فى كتاب : (معارج المقربين) [١] وكتاب : (النور المبين) [٢] وكتاب: (مذكرة المرشدين والمسترشدين) [٣]

إن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان صالحا للدارين ، ركبه - جلت قدرته - من قوى متباينة ، بعضها يفارقه ، وبعضها لا يفارقه .

القوى التى لا تفارقه :

للنفس قوى تعمل أعمالها بالآلات الجسمانية كالغاذية والمربية والمولدة، وتلك القوى لها الرئاسة على أنواع أخرى تخدمها ، ومنها القوى المدركة وهى ظاهرة وباطنة ، فالظاهرة منها هى الحواس . والباطنة هى المتخيلة والواهمة والذاكرة والمفكرة ، والقوى المحركة الشهوانية والغضبية ، والقوى التى تحرك الأعضاء ، وكل تلك القوى التى ذكرناها تعمل أعمالها بآلة _ وإن لم تر بعض الآلات _ لأنه لابد من ذلك ، وجميعها لا يفارق الإنسان.

القوى المفارقة :

هى كثيرة ، منها العقل العلمى ، وهوالذى يستنبط ما يجب فعله من الأعمال الإنسانية ، ويقيس الأشباه والنظائر التى لم يرد بها نص صريح لا فى الكتاب ولا فى السنة بالجزئيات المستنبطة من الكتاب والسنة ، ومن تلك القوى العقل العملى ، وهو الذى يتم به جوهر النفس ، وتصير نفسا طاهرة زكية بالفعل ، وتتفاوت مراتبه فقد يكون بالوهب أو بالكسب .

تلك القوى التى تدرك المعقولات روح مجردة ليست بجسم ، ولكن لا تؤدى أعمالها الخاصة بها إلا بواسطة آلاتها الجسمانية ، لأنها مفارقة للإنسان ليست من نوع قواه ، تلك الروح تبقى بعد موت البدن لأنها ليست قابلة للفساد ، وهى الروح المعنية بقوله سبحانه وتعالى :((فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي))[٤] وقوله سبحانه وتعالى : ((يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ • ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً • فَادْخُلِي فِي عِبَادِي • وَادْخُلِي جَنَّتِي)) [٥] وهذه الروح هى الإنسان على الحقيقة ، وبدونها فهوكالأنعام بل أضل . وإنما تفاض من المنعم الوهاب عند إرادته ذلك بإيجاده سبحانه الشىء الصالح لقبولها وهو البدن الإنسانى الذى يمثل الكمالات الروحانية ، وتتجلى به الأخلاق الربانية ، وقليل ما هم .

---

(١) تطلب هذه الكتب من مكتبة دار الكتاب الصوفي التابعة لمشيخة الطريقة العزمية ١١٤ شارع مجلس الشعب
(٢) تطلب هذه الكتب من مكتبة دار الكتاب الصوفي التابعة لمشيخة الطريقة العزمية ١١٤ شارع مجلس الشعب
(٣) تطلب هذه الكتب من مكتبة دار الكتاب الصوفي التابعة لمشيخة الطريقة العزمية ١١٤ شارع مجلس الشعب
(٤) سورة ص آية ٧٢.
(٥) سورة الفجر آية ٢٧-٣٠.

بيان تلك القوى

القوة الغاذية :

رئيسها في الفم ، وخدمها متفرقة في سائر الأعضاء مثل المعدة والكبد والطحال والأمعاء والمثانة التى تخدم الكلية، والكلية التى تخدم الكبد،والكبد الذى يخدم القلب وكذلك الرئتان تخدم القلب.

القوة الحاسة : رئيسها القلب وخدمها الحواس الخمس المشهودة عند الجميع

القوة المتخيلة : محلها القلب ليس لها خدم وهى حاكمةعلى المحسوسات تفرد بعضها عن بعض،وتركب بعضها إلى بعض.

القوة الناطقة : الرئيسة على الكل لا يرأسها شيء، تدرك المعقولات وهى روح مجرده ليست بجسم.

قوة الميل : القوة التى تشتاق إلى الشيء أو تكرهه. وبها تكون الإرادة، فإن الإرادة ميل إلى ما أدركته أو عنه. وهذه القوة لها خدم فإنها تتلقى نتائج أفعاله الخاصة إما بالحس أو بالتخيل أو بالقوة الناطقة وتحكم فيه بأنه ينبغى أن يؤخذ ويترك ،والميل قد يكون إلى علم أو عمل أو ترك والعمل إما بالبدن جميعه وإما بعضو منه، ويكون بقوى منبثة من القوى الرئيسة.

العقل العلمى : الذى يستنبط ما يجب فعله من الأعمال الإنسانية ، ويقيس الأشباه والنظائر التى لم يرد بها نص صريح لا فى الكتاب ولا فى السنة بالجزيئات المستنبطة من الكتاب والسنة

العقل العملى : الذى يتم به جوهر النفس وتصير نفس طاهرة زكية بالفعل وقد يكون بالوهب أو بالكسب.

القوة الواهمة : مدير المعقولات

القوة المفكرة : تميز بين الجميل والقبيح، وبها يحوز العلوم والصناعات ويعرض على القوة الناطقة لتنفذ ما به حفظ المملكة الإنسانية من المضرات وما يجلب لها به الخيرات وهى بين الوهم والعقل.

القوة الذاكرة : تستعرض ما فى الحافظة على جانب العقل أو الخيال والوهم

القوة الحافظة : خزانة للمدركات الحسية والوهمية والخيالية

العقل : مصباح، والشريعة زيته، والدين بيته، وهو السفير بين النفس الناطقة وبين رعيتها، وهو ذو روية وفضل،يعقل الإنسان عن الدنايا والخطايا، وهو البرزخ بين الوهم والخيال .. وبين النفس وهو الحاكم المسيطر على الحس، وينشد سعادة الإنسان بنيل الفضائل التى يكون بها شبيها بالملائكة الروحانيين،متجملا بجمال الأنبياء والمرسلين مما تبتهج به الأرواح الملكية والنفوس المطهرة الزكية.

الشهوانية : مأكل شهي، وملبس بهي، وملامسة للنساء على فراش وطي.

السبعية : السبع يفترس ظلما،والنملة تدخر غنما، والفأر يسرق غرما، والديك يأتى الدجاجة رغما.

النفس الملكية : (الروح) محجوبة عن الأبصار، لأنها مفارقة للمحيز من الآثار، وتعرف بأعمالها الحسان، ولا تظهر جلية إلا فى الجنان أو لنبى مرسل، وكيف تظهر وهى نور صاغها الله، لا يشهدها إلا من صافاه.

القلب : أفق لشروق شمس التجلى بنور على وسر جلى فيتوجه إلى العزة ثم إلى الجبروت وظاهر القلب: عرش الرحمن، وباطن القلب : بيته المعور، فإذا عمره الله سبحانه بشهود معنى صفاته كان سدرة المثل الأعلى، وزجاجة المثل العلى ، وكان الهيكل

صورة الرحمن.

الخفا والأخفى: الخفا تعالى عن الأرواح والتفسير وفوق الخفا الأخفى .

ترتيب القوى:

اعلم - أيها الأخ المسارع إلى مغفرة ربك ، الراغب أن تفوز بالنعيم المقيم في جنات عرضها السموات والأرض كما قال الله تعالى : ((وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ)) (١) .

أن الإنسان أول ما يخرجه الله تعالى من بطن أمه يكون مجردا عن قوى النفوس كما قال سبحانه وتعالى : ((وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)) (٢) فأول ما يجعل الله له من قوى النفوس القوى الغاذية التي بها يتغذى ؛ لأنه كان في بطن أمه كالنبات يتغذى بالامتصاص ، وليس ذلك يمنع من أن يكون متجملا بقوتي الحس والحركة ، ثم يجعل الله له قوى الحس بأنواعها ، فيحس بها الملموس مثل الحرارة والبرودة والطعوم والروائح والأصوات والألوان والمبصرات ، ويجعل له قوة الميل في قلبه فيشتاق إلى ما يحبه أويكرهه ، ثم يجعل له سبحانه قوة أخرى هي القوة المتخيلة يحفظ بها مارسم في نفسه من المحسوسات بعد غيبتها عن مشاهدة هذه الحواس لها ، وهذه القوة المتخيلة تركب المحسوسات بعضها على بعض ، وتفصل بعضها عن بعض تركيبا وتفصيلا مختلفا بعضه كاذب وبعضه صادق ، ويجعل الله له في قلبه قوة ميل إلى ما تخيل أوعنه ، ثم بعد ذلك يجعل الله فيه القوة الناطقة التي هي النفس الإنسانية : (الحقيقة الخاصة للإنسان المميزة له عن بقية انواع الحيوانات ، وهي التي يمكن أن يعقل بها المعقولات ويميز بين الجميل والقبيح ، وبها يحوز العلوم والصناعات) ثم يمده الله سبحانه بقوة في قلبه يميل بها إلى ما يعقله ويشتاق إلى أن يتجمل بالحكمة وأسرارها .

أعضاء تلك القوى :

ولكل نوع من تلك القوي أعضاء منها رئيس ومنها مرؤوس مسخرة بقدرة الله تعالى وحكمته ، ولسنا في حاجة إلى تفصيلها وإن كان المريد الصادق يحب أن يشهد الآيات الظاهرة في نفسه الدالة على حكمة الحكيم القادر وتدبير الصانع المبدع ، ليكون ذلك أدعى إلى كمال معرفته وإخلاصه في العبادة لربه سبحانه ، وصرف جميع أوقاته في الاشتغال بشكره سبحانه . فأشير إلى ذلك بإلماع خفيف :

اعلم - يا أخي - أن القلب ملك المدينة يرأس ولا يرأس وتحته رؤساء أتباع له ، فالقوة الغاذية رئيسها في الفم وخدمها متفرقة في سائر الأعضاء مثل المعدة والكبد والطحال والأمعاء ، والمثانة التي تخدم الكلية ، والكلية التي تخدم الكبد والكبد الذي يخدم القلب ، وعلى هذا تتركب القوة الغاذية . والقوة الحاسة رئيسها القلب وخدمها الحواس الخمس المشهودة عند الجميع المتفرقة قواها في العينين والأذنين والأنف وفي اللسان وفي الراحتين ، وكل عضو من هذه الخمس يدرك ما يخصه فكأنها أصحاب أخبار موكل كل عضو منها بأخبار ناحية من نواحي المملكة . والقوى المتخيلة محلها القلب ليس لها خدم وهي حاكمة على المحسوسات تفرد بعضها عن بعض ، وتركب بعضها إلى بعض بحالة قد تكون موافقة للمحسوس أومخالفة له .

وأما القوة الناطقة فهي الرئيسة على الكل لا يرأسها شيء . وأما قوة الميل إلى الشيء أوعنه التي تسمى بالنزوع ، وهي: القوة التي تشتاق إلى الشيء أوتكرهه . وبها تكون الإرادة ، فإن الإرادة ميل إلى ما أدركته أو عنه وهذه القوة لها خدم فإنها تتلقى نتائج أفعالها الخاصة إما بالحس أوبالتخيل أوبالقوة الناطقة ، وتحكم فيه بأنه ينبغي أن يؤخذ أو يترك ، والميل قد يكون إلى علم أوعمل أوترك والعمل إما بالبدن جميعه وإما بعضو منه ، فالميل الحقيقي يكون بالقوة النزوعية لأن محلها القلب ، والأعمال بالبدن تكون بقوى منبثة في جميع أعضاء البدن من القوى الرئيسية ، فسبحان من حير الألباب وأدهش العقول بما أبدعه بقدرته وحكمته ونظمه بإرادته وتدبيره ((لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُو يُدْرِكُ الأَبْصَارَ

---

(١) سورة آل العمران آية ١٣٣.
(٢) سورة النحل آية ٧٨.

وَهُو اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ))[1] .

سلطان النفس الأمارة :

للنفس الأمارة بالسوء سلطان قاهر على كل ذويها من الخيال والوهم ، ومن القوة النباتية كالغازية وغيرها، ومن القوة الإبليسية من الحسد والعناد وكفران النعمة، ولما كانت كل تلك القوى الظاهرة والباطنة التى يجمعها ثمانى عشر نوعا، كلها مفطورة على التنازع والتباغض والمسارعة إلى العناد والإفساد إذا لم تتحصن بكهف الشريعة بجاذب الجهاد الفادح، والفرد من الإنسان مملكة عظيمة جدا مكونة من ملك متصرف تصرفا مطلقا وهو القلب، ومن وزراء ورئيسهم الكبد فالكليتان فالطحال، ومن عمال مقربين منها برءوس الأعمال كالمعدة، فعمال إفراز الأمزجة ورئيسها المرارة، فعمال تطهير الجسم ويرأسها الأمعاء الغلاظ والدقاق، فعمال المهن الدنيئة كالمستقيم وهو طرف الأمعاء الأسفل والمثانة وغير ذلك، أما العمال الأشراف فجهاز دورة الدم كالأوردة والشرايين، وفيما بين كل هذا حقائق تبهر العقول وتحير الأفكار من بدائع إبداع قدرة الله تعالى، وحكمة كل تلك الحقائق تمثل مملكة عظيمة تمثيلا يجعل أكبر مملكة فى هذا الكون مصلحة أمامها ومع أن الإنسان أضعف الأنواع الموجوده لأنه يحتاج في ضروریاته إلى كثير من الأنواع ومن بنى جنسه للقيام له لسد حاجاته الماسة، فإن الله تعالى أقامه خليفة عنه، وسخر له كل شيء ليجمع بين عجزه عن القيام بنفسه لأمس الضرورى إليه، ولينظر ما أسبغه الله عليه من الفضل فيتعرف إلى الله ((قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ)) (عبس:١٧).

عالم كبير في عضو صغير :

وهنا ألمع إليك بسر عجيب وسع السموات والأرض ولم يتجاوز شبرا فى شبر ، وهو الوجه والرأس ، فتجد فى الوجه آلات السمع والبصر والشم والذوق والنطق التى بها إدراك الحقائق الكونية ، وتجد فى الرأس قوة الخيال والوهم والإدراك والحافظة والمخيلة والحاكمة ، فسبحان من جمع فى هذا العضو الصغير ماجعل الإنسان عالما كبيرا ينطوى فيه العالم الأكبر .

أما ماعدا تلك الأسرار من سر الغيب المصون فلايكون إلا بعد تزكية النفس وصفائها حتى ترسم عليها آيات تلك الحقائق العلوية والسفلية التى بها يعرف الإنسان نفسه فيعرف ربه، وبها تحصل البهجة والأنس للنفس باستجلاء معانى الصفات العلية ، فلنمسك اللسان عن هذا الغيب المصون حتى يعلمه الله تعالى أهل التقوى من خاصة عباده الصالحين بإلهام منه سبحانه ، أو بإقامة مرشد عارف به يبين للسالكين بعد المجاهدة أنوار المراقبة فالمشاهدة . قال تعالى : ((وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ) [2] وكفى أهل العلم شرفا قول الله تعالى : ((إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)) [3] برفع لفظة العلماء أوبنصبها فتكون : ((إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ)) بالرفع ((مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءَ)) بالفتح لأن العلماء مفعول به ، ولما كان من معانى الخشية التعظيم فيكون تأويل الآية إنما يعظم الله من عباده العلماء .

آيات الله في الإنسان :

الإنسان متى عرف نفسه بما جمله الله به من معانى صفاته، وبما أظهره له من نشأته الكونية التى هى النطفة الجارية فى مجرى البول مرتين، ثم صوره جل جلاله فى الرحم من نطفة إلى علقة إلى مضغة لحم إلى عظام ثم كسا العظام لحما ثم أنشأه خلقًا آخر مجردًا من كل إدراك وشعور وعلم ، كأنه نبات يأكل ويشرب من لبان أمه ،وينمو ويتحرك من غير إرادة وشعور ، ثم سخر له الكون ، ثم أقامه خليفة عنه ، ثم اصطفى من شاء فرفعه عن ملائكته وعن حملة عرشه كما قال تعالى : ((وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ)) [4] ورد من شاء فجعله أسفل من الشياطين ، قال تعالى : ((إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ)) [5] خلق الإنسان على صورة الرحمن ، ورفع من أحبهم إلى أن أجلسهم على منابر من نور قدام

---

(١) سورة الأنعام آية ١٠٣.
(٢) سورة البقرة آية ٢٨٢.
(٣) سورة فاطر آية ٢٨.
(٤) سورة محمد آية ٣٥.
(٥) سورة النساء آية ١٤٥.

عرش الرحمن ، لايخافون إذا خاف الناس ، ولايفزعون إذا فزع الناس ، لايردون نارا ولا يرون صراطا فى الآخرة ولا يشعرون بحسيس جهنم ، بل يجعل الله لهم أجنحة من نور يطيرون بها إلى ربهم ليظهر كماله وفضله وإحسانه ونزاهته عن العلة والغرض ، وغناه عن العبادة والتقوى ، وأرسل لقوم ممن سجل عليهم سوء القضاء زبانية جهنم يسوقونهم بمقامع من حديد حتى يكبونهم فى النار على وجوههم ، ليظهر كمال قهره وعزة ربوبيته جزاء لمن كفر بأنعمه .

هذا رذاذ مما أودعه الله تعالى فى الإنسان من الآيات التى تدركها العقول السليمة من الهوى .

عناية الله تعالى بالإنسان :

لكل تلك المعانى اقتضت حكمة الله تعالى العناية بهذا النوع حتى حمله الأمانة ، وهى الخلافة عنه سبحانه وعبادته ، والقيام بما أوجبه مشاهدا جماله العلى وجلاله الربانى فى كل عمل ، حتى لا يغيب عن الحق ولا ينسى عهده ((أَلَسْتُ)) وهو العهد الذى أخذه الله على بنى آدم بقوله عز وجل ((أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ)) [1] فسخر له ما فى السموات وما فى الأرض فضلا منه ، وأمده - تنزهت ذاته - بما به يمكنه أن يتصرف فى الأرض ، ويقوم بحقوق الخلافة عن الرب، مجاهدا نفسه وهواه فى ذات الله تعالى ، ناهجا المنهج الذى وضعه الله لنا ضامنا لنيل سعادته فى الدارين ، من العقيدة الحقة التى هى الحقيقة فى نفس الأمر ، والعبادات الخالصة التى رضيها سبحانه لنفسه من عباده المخلصين ، والمعاملات الحسنة التى بها يكون الإنسان أخا للإنسان ، وعضوا متمما للجسد الذى تمثله كل أفراد بنى الإنسان ، والأخلاق الربانية التى يكون بجميعها إنسانا روحانيا كاملاً فوق الملائكة منزلة ، وإن كان فى الظاهر هو الهيكل الإنسانى الذى يأكل وينام ويمشى فى الأسواق .

الأسفار السماوية لوتتبعها الحكيم الألمعى ، لوجد بعضها يومىء إلى تكميل القوى الجسمانية وتقويمها دون نظر إلى النفس ، وبعضها يبين طرق تزكية النفس مع إهمال ما يجب على الأبدان التى هى الآلات للنفس ، وإغفال ما لابد أن يكون عليه الإنسان فى كل أنواع المجتمع الإنسانى صغيرها ووسطها وكبيرها ، وترك بيان مرتبة الإنسان ومنزلته بين العوالم كلها ، حتى أن بعض الكتب صرح بأن البعث بالنفس دون الجسم إهمالها للأجسام التى بها ظهرت تلك المعانى الروحانية ، وقامت أعمالها الخاصة بها .

ولم يرسل الله تعالى رسولا يدعوالناس إلى الخير الحقيقى والسعادة الحقيقة فى الدارين ، مبينًا أنواع الكمالات الإنسانية كلها عقيدة وعبادة ومعاملة وأخلاقًا ، وموضحًا الآداب التى تجعل الإنسان أهلا لأن يكون فى معية ربه فى الدنيا والآخرة ، وصورة كاملة مجملة بالأخلاق الربانية حتى يحصل له الخير الحقيقى وتتم له السعادة الحقيقية روحا وجسما ، إلا سيدنا ومولانا محمدًا (صلى الله عليه وآله وسلم)

الخيال

مكانته ووظيفته

الخيال : رئيس المحسوسات

الحس بريد المملكة الانسانية ، وهو السمع والبصر والذوق والشم واللمس ، وله رئيس ، فالبصر للألوان والأشكال والأبعاد ، والشم للروائح ، والسمع للأصوات والنغمات ،

---

(١) سورة الأعراف آية ١٧٢.

والذوق للطعام ، واللمس للحرارة والبرودة والصلابة والرطوبة والخشونة والنعومة وتقريب المقادير ، وله مدير للمعقولات ورئيس للمحسوسات ، فمدير المعقولات الوهم ، ورئيس المحسوسات الخيال ، ومركزها الرأس والوجه ، إلا اللمس فإنه منتشر فى سائر البدن وانتشاره لحكمة هى الرحمة بالجسم الإنساني ، فإنه إذا فقد اللمس وجلس على نار أوعلى ثلج أوعلى مفرق للأعضاء هلك .

إن مبدع الكائنات جعل الحس لحفظ الجسد من الآفات ، ولدفع المضرات وجلب الخيرات، وإنى أضرب مثلا تستبين به الحقيقة : إذا جلس الإنسان ليأكل ، سبقت العين اليد إلى الطعام ، فإذا قبلته شكلا ولونا أذنت اليد بنقله ،فإن تناولته اليد سبق الشم إليه ، فإن قبله رائحة أمر اليد بدنوه من الشفتين ، فإذا قبلتاه توسطا فى الحرارة والبرودة سمحت بدخوله إلى اللسان ، فإن قبله طعما رده إلى الأسنان ، فإن أمكنها طحنه سمحت للسان بتوصيله للمرىء فيوصله إلى المعدة ، فإن كان صالحا للبقاء فيها قبلته وقامت بوظيفتها وإلا ردته وأخرجته ، وأهل الجهالة يقهرون المعدة على بقاء الطعام فيها بتعاطى ما يبطل عملها الطبيعى حتى تقبل ما تكره ، بشرب الدخان أو بأكل التوابل أو الأملاح ، فتقبل الطعام مكرهة وتضعف عن القيام بوظيفتها ، فقد يتغير فيها فيصير حامضا أوعفصا أو مرا أو حلوا بحسب الغالب عليه ، فتحصل الأمراض والأوجاع ، هذا كله لمخالفة العقل ، وترك العمل بالوصايا الشرعية ، وإهمال البحث عن حكمة إيجاد تلك الأشياء والنظر فى خواصها ، هذه بعض وظائف الحس .

والحس هذا داعية الشرور إذا لم يتطهر ، وهوكما أنه بريد النفس فهوكذلك بريد الشيطان ، فإذا وفق الله فأصلح بين تلك القوى المتضادة ، والأنواع المختلفة ، مال كل فرد من المسلمين إلى سعادة الدنيا والآخرة ، وفاز المجتمع الإنسانى بما فاز به سلفه الصالح ، وعم الخير والرشاد بطاح الأرض والوهاد ، وسهولها والأنجاد .

ميل الحس إلى المنفعة :

الإنسان يشهد بحسه ما به نفعه وتلذذه ودفع ألمه ونوال خيره، فتراه يألف ويشتاق إلى تلك الأشياء التى يحس بخيره فيها أومنها أوبها، وهذا الشعور ضرورى ليس فى الإنسان فقط، بل فى كل كائن – حتى فى الحيوانات والنباتات – فإنك ترى أغصان الشجر تميل إلى الجهات الموجودة فيها الشمس، وتمتد جذوره إلى الجهات الخصبة من الأرض، الممزوجة بالماء، ويترك الأماكن الصلبة، أو التى ليست خصبة، وقد تكون شجرة فى حجرة فيها نافذة، فتمتد أغصانها حتى تخرج من النافذة، وما ذاك إلا للشعور بالنافع. إذا كان ذلك فى النفس النباتية والحيوانية، فهى فى الإنسان أعظم ميلاً، وأكثر شعورًا .

وظيفة الخيال :

الأبصار ترى المظاهر فتوصل صورها إلى الخيال ، والخيال يمثلها للعقل ، والعقل يوصلها إلى جوهر النفس فتحكم بحسب صفائها أو شوبها ؛ فقد يرى البصر الحقيقة فتصل صورتها إلى النفس فتحكم بشهوة ، وقد تصل صورة تلك الحقيقة إلى نفس أخرى فتحكم بعطف ورحمة . وتصل إلى نفس أخرى فتحكم ببدائع إبداع صنع الله تعالى وعجائب قدرته .

الخيال وتأثير الحوادث في النفس

ليس من رأى السبع فى الغابة يعدو إليه باديا نواجذه فحاربه وسلم منه ،كمن سمع الحادثة فى التأثير ؛ فان الذى حارب السبع شهد مشهد شيب رأسه وفك مفاصله ،وكاد يزهق ورحه ،والذى سمعها ضحك عجبا وتمايل طربا.

الخيال والتفكر فى سوابغ النعم :

إذا حصَّل المريد بخياله صور الكائنات ، وما بها من سوابغ النعمى ، وجزيل الآلاء ، وواسع الفضل العظيم ، وتجلت له آيات الله مشرقة فى نفسه وفى الآفاق، وانتقشت تلك الصور على جوهر نفسه ، فتعقلها عقله ، وتدبرها قلبه ، فشعر القلب بأن تلك المواهب العلية ، والكنوز الكونية ، التى ملئت خيرا له وبركات ، لا يحصها عدا ، ولا يستقصيها حدا ، لم تخلق عبثا ، ولم تترك سدى ، وتحقق أن مبدعها القادر الحكيم

،وخالقها القوى العليم ،ما تفضل بها سبحانه إلا لحكمة أجلاها للبصائر ، وسر كاشف به الضمائر ، وآيات أجلاها للعقول ، ولا تخفى على إنسان كائن من كان ، ولكن الأهواء والحظوظ والتقليد هى التى جعلت الإنسان يجهل الطريق الموصل إلى الحكمة ، والسبيل المبين لها .

تجول قوى الفكر فى هذا العالم جولة متدبر يرى أنه عاجز عن شكر المنعم – سبحانه – مضطر فى كل نفس إلى معونته – جل جلاله – فيقوى عامل الفكر بعد الذكر حتى يرتقى من عالم الحس إلى عالم الخيال ، ولديها يمكنه أن يتمثل الآيات العلوية فتلوح عليه أنوار مبدع الكائنات ، وتتبلج له أسرار القادر الحكيم الحى القيوم ، ولديها تقوى عوامل الحيرة والدهشة فيرتقى من عالم الخيال إلى العجز المطلق ، ولديها يحضر فلا يغيب ، وليس بعد العيان بيان ، ويكون شبيها بالعوالم الروحانية ممن وصفهم الله بقوله :

((الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ)).[1]

أَيَـــآيُّهَا ٱلآثَـــارَ فِـــى ٱلْبَـــدْءِ كُنْـــتِ لِـــي ... مِـــــرَاءٍ لآيَـــــاتٍ تُنِيـــــرَ خَيَـــــالِي
وَهَـــأَنَا بَعْـــدَ ٱلشَّـــيْبِ أَشْـــهَدُ غَيْـــبَ مَـــا ... أَضَـــــاءَ بِتَفْصِـــــيلٍ بِـــــلاَ إِجْمَـــــالِ

الخيال والعلم

العلم هو تصور النفس رسوم المعلوم ، ومتى تصورت النفس رسوم المعلوم ، صار المعلوم معالم بين عينى العالم ، لانبلاج أنوار الغيب المصون وإشراقه على جوهر النفس ، فبين لغيره بالعبارة معانى المعلوم ، ليتمثلها خيال السامع لا بقدر المعلوم ، فإن كان السامع ممن منحهم الله نفسا نورانية ، تقبل العلم الحق واطمأن قلبه . وإن كانت نفسه خبيثة ، أنكر ومال إلى مجالسة أهل الكفر والضلال ، فإن استدرجه الله تعالى بقوة أهل الباطل ، وضعف أهل الحق ، جاهر بالضلال ، وإن أظهر الله أهل الحق أظهر أنه من أتباعهم ، وأخفى فى نفسه ما الله مبديه ، وهو النفاق .

الخيال لا يؤدي إلى علم اليقين :

محاكاة الخيال للحوادث تجعل الإنسان فى الحوادث العظيمة يتمثل عدوه هاجما عليه وهو ماش فى الطريق فيضطرب ، أو يتخيل أن حبيبه واقف على بابه يناديه أن يفتح له، أو أنه يتكلم معه . ومن قرأ أقاصيص المغرورين وأخبار من اختل توازن أبدانهم يعلم أن علم اليقين لا طريق له إلا الحواس الصحيحة أو الخبر الصادق أو العقل. وأما الرؤيا المنامية ومحاكاة الخيال فى الحوادث الهامة وتمثيل الأوهام كل هذا ليس من الطرق التى تؤدى إلى علم اليقين .

الخيال قد يكشف المقصود لمن صحبوا العارفين

والحق أن الخيال مع خطورته، قد يكشف المقصود لمن صحبوا العارفين .

الخيال وتزكية النفس

الخيال وتزكية النفس :

تزكية النفس هوالجهاد الأكبر، لأن الإنسان مسكين بين جاذب ودافع، إن كان له قلب فقلبه يدفعه عن حظه وهواه العاجل إلى حظه وهواه الآجل، ونفسه الحيوانية وأعضاؤه العاملة وما فى فطرته من الاحتياج، وما جبل عليه من الأمل تجذبه إلى ما يلائمه ويلذذه ويعظمه أمام الخلق إلى المنافسة وإلى التكاثر، وهى أمور محسوسات سريعة الإنتاج، تشغل القلب والجوارح، وكثيرا ما يكون السالك على المنهج القويم مخلصا فى العزم، صادقا فى القصد، مفطورا على الخير، فيناله من عمله وحاله إقبال الناس ومواساتهم بما يلائمه وما يسد الضرورة والكماليات فتبتهج نفسه، وتأنس جوارحه، ويطيب بما نال،

---

(١) سورة الرعد آية ٢٠-٢٤.

فيتناسى المقصد الأول والعزم، ويغيب عن الحضور والمراقبة، ويعمل عمل المعتاد بدون استحضار، وربما – والعياذ بالله تعالى – انحط إلى أن صار العمل لقصد هذا النوال الدنيء وبلوغ هذا المتاع القليل.

كل تلك العقبات تجعل الرجل دائم المجاهدة، كثير المفاكرة، طويل المحاسبة لنفسه، حتى يتمكن الخيال من أن يمثل الصورة الكاملة الملكوتية مثالا لا يحجب عنها، حتى إذا حصل السهو أو النسيان تذكرت فأبصرت تلك الصورة فحنت وجاهدت ((إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ))[1] وفى هذه المنزلة يكون الإنسان فرحا بالقليل من الدنيا، مطمئنا بالله تعالى، وإذا سخر الله له الدنيا قام بها هكذا وهكذا، رغبة فيما عند الله وخوفا من أن تلابس قلبه أو تتجمل له فيألف أو يكاد فهو لا يسأل الناس لأنه تقي، ولا يرد لأنه موحد، وهو مع الله فى حاليه إن كان لا يملك قوت يوم، أوكان يملك الأرض وما فيها، فلا العدم يشغل قلبه لثقته بوعد الرزاق الكريم، ولا ادخار الكنوز ينسيه حقيقة اضطراره وفقره إلى الولى المختار المريد، فهو فى احتياجه لقوت يوم غنى بربه، وفى ادخاره للكنوز شديد فى احتياجه إلى الله تعالى، وجماله الفقر فى الحالين وكماله الاضطرار في المشهدين، حتى إذا كملت تزكية النفس قلب القلب مقلبه، والبصر مبصره من الملكوت إلى العزة فصح نزل العبودية، وكمل الخوف من مقام الربوبية ((قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا))[2] .

القلب والخيال

إذا زكت النفس واستعد الخيال للتمثيل، واجه القلب حضرة الملكوت الأعلى، بعد معرفته بكمالات الملك الأدنى، وفطرته على الأجمل من لوازمه والأكمل من أموره، وبمواجهة القلب للملكوت الأعلى لا يحتاج إلى العقل، لأنه صار عقلا يعقل عن الملكوت، ويمد الخيال بصور الكمالات الملكوتية، وبديع الجمالات الروحانية، فتكون تلك الصور منطبعة في لوح الخيال أمام النفس المدركة التي قام بها الإنسان، فترى الإنسان يحاول أن يتجمل بتلك الفضائل والكمالات، ويتحلى بحلل تلك المعانى الجميلة، وتحصل المواجهة بين الصورة الملكوتية، وبين صورته الإنسانية، فيرى نفسه فى حاجه إلى تكميله، وتتميم حقيقته بتلك الجمالات، ولذلك فإنك ترى أهل النفوس الزكية يرون أنفسهم دائما مسيئين لمواجهتهم للملكوت، وانتزاع الخيال لتلك الصور العلية الجميلة، التى تتعشقها النفس، فتشتاق أن تتشبه بها ويكون القلب فى هذا الحال بالنسبة للأحكام الشرعية هو الحاكم حقيقة، لأن الأحكام الشرعية حدود الله، التى من تعداها أو داناها هلك أوكاد.

الخيال والحقيقة الروحانية :

الحقيقة الروحانية مكونة من هيكل نورانى فيه :العقل والفكر والوهم ،والخيال والحافظة ، والذاكرة، والقلب الروحانى المعنوى ،والروح،والسر،والخفا، والأخفى، والنفخة القدسية ..كل هذا فى هيكل لطيف نورانى يعبر عن الحقيقة الروحانية ،والحقيقة الروحانية لا يحس بها أحد عند الموت لأن شأنها السرية والخفاء ،والهيكل هو الهيكل لم ينتقص منه شيء.

إذا جذبت الروح قواها الباطنة من قلب، ونفس، وخيال، ووهم، وحافظة، ومدركة إلى ما تقتضيه مكانتها الروحية بكامل التمثيل والتشبيه، تعطل الحس، وأطفئت نار مقتضى الجسم، وهو مقام الجمع للسالك والفناء للواصل، والسكر للمتمكن، ويكون الجسم فى هذا الحال فى كهف التحفظ من سعير نار الإبليسية، ودخان البهيمية، ومقتضيات البشرية، خائفا وجلا من أن تعود له الحياة التى تحجبه عما هو مول وجهه صوبه.

آعَاهِدُ نُورَ ٱلْوَصْفِ فِى ٱلذِّكْرِ يَجْلُوْ لِـــــــ

بتزكية النفس يعجز الخيال :

لما كان الإنسان صورة الرحمن المجملة بالنفس الملكية، وقد يرقى إلى أن يمنح النفس القدسية، كان له جمال خاص به، وخير يناله بتلك النفس الملكية أو القدسية. وهذا الجمال ليس كالجمال الكوني – الذى هوخير للجسم – بل هوخير خاص بالنفس، ولذة حقيقية للروح، تحن إليه وتشتاقه، إذا لم تشغلها الحواس والحظوظ والأهواء فى ظلماتها الكثيفة، التى تحجب الروح عن حقيقة ملاذها .

فإذا زكت النفس، وتطهرت أدواتها الجسمانية من شغلها، أنست بالجمال المنطوى فى الكائنات، وتشوقت إلى حضرة الملكوت، حتى تشاهدها، فإذا شهدت جمال الملكوت حنت إليه، وجذبت الجسم معها إلى نوال الفوز بالوصول إلى هذا النعيم المقيم، والسعادة الأبدية فى دار الفردوس، ومقعد صدق عند مليك مقتدر .

ولديها تلوح أنوار الأسماء ومعانى الصفات، وتشرق شمس التجلى مشرقة على أفق القلب، بنور على وسرٍّ جليٍّ. ويتوجه القلب إلى العزة بوله شديد، حتى تضمحل ظلال الأوهام، ويعجز الخيال عن التمثيل ، ويشتد الوله حتى يتأله المراد إلى حضرة الجبروت، فينكسر قلبه من أجل العظيم، المتكبر الكبير الجبار، فينال فضل القرب والحب، ويكون الله تعالى عند العبد الكامل المنكسر قلبه من أجله، بعد أن كان العبد عند ربه، وهو مقام محبوب، ومواهب الله لمطلوب .

ثم تتجلى أنوار مجلى الذات، لا على صور وهيئات، ولا على آيات وصفات، ولكنه نور على نور، والعين تنجلى بلا أين، وتشهد بلا بين، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذوالفضل العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الخيال وتمثل النعيم والجحيم

إذا سمعت ربك سبحانه يقول: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا)) فاستجب لربك وقل: لبيك ربى وسعديك، واصغ بأذن قلبك إلى ما يقوله ربك، فإن أمرك فسارع إلى السمع والطاعة، وانظر بعين بصيرتك إلى نفسك فأنت أرحم الناس بها، وقم فخلصها من خطاياها وهواها، وغض بصرك عن غيرك، فإنما أنت المنادى بنفسك من ربك، والمنادى هوالله لا أنت.

فاستجب لله أولا، ثم قم مناديا بنداء ربك، لأنك عملت بما أمر.

فإذا تلوت الآية التى فيها الثناء من الله والبشائر منه سبحانه، فتدبرها ببصر ناقد وقلب يفقه، وتمثل قدر الثناء من الله تعالى الذى تسارع إليه الأرواح الطاهرة، وجاهد نفسك كل المجاهدة أن تلتحق بمن أثنى الله عليهم، أو تتشبه بهم فتكون ممن أثنى الله عليهم وتشبه بهم. وأى مجد أعظم درجة من مجد من أثنى الله تعالى عليه.

تمثل الخيال ملاذ الجنة :

ثم تأمل فى الأعمال التى بشر الله عليها عباده، ونافس فى أن تكون ممن بشرهم الله تعالى: ((وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ))[1] ثم تنبه عند تلاوة الآيات التى يذكر الله فيها النعيم الذى أعده لعباده المؤمنين، والخير الذى جعله عند ذكر الجنة ووصفها وبيان ما فيها مما تشتاق إليه النفوس، وتبذل لأجله كل نفيس وغال، فإذا قرأت تلك الآى فتمثل بخيالك تلك الملاذ الجسمانية النفسانية، والنعم العظمى التى لا نصب بعدها ولا زوال لها، وتدبر ما تناله فيها من مشاهدة وجه ربك جل جلاله، ونيل رضوانه، ومجاورة رسله الكرام وأهل محبته من صفوة عباده، واستسهل كل ما يوصل إليها فى نظرك، وانظر إليه حقيرا بالنسبة لها ولوكان فى ذلك بذل المهج- فضلا عن الأولاد والأموال - فإن نفسا فى الجنة خير من الدهر كله فى أكمل نعيم الدنيا.

وكيف لا؟! ومهما كمل نعيم الدنيا فذكر الموت ينغص، وكل لذة تنقلب ألما إذا تذكر الإنسان سوء عاقبتها، وكل ما رغبت نفسك فيه فهو مشوب بالأوصاب والبلايا التى ينالها

---

(١) سورة المطففين آية ٢٦.

الإنسان فى جمعه، وما يقتضيه جمعه من ضرر الغير.
فشتان بين نعيم مقيم فى جوار رب العالمين وفى أمانه ورضوانه الأكبر، وبين ما لا ينال إلا بالمضار والأوصاب، ولا دوام له وعاقبته العذاب، لعلك إذا تخيلت تلك المعانى فى تلاوتك ظهرت لك الجنة جلية فشهدت ما فيها حتى كأنك على أبوابها، فقبحت فى عينك ملاذك، واسترذلت حظوظك، واستقبحت آمالك فى الدنيا، واستنكفت أن تبيع النعيم الأبدى ورضوان الرب العلى بإرادة عاجل كله وصب يزول عن طالبه أو يزول هوعنه.
وليس المؤمن بكامل الإيمان إن لم يتحقق أنه يمشى على الصراط الذى هو أحَدُّ من السيف، وأدق من الشعرة، وأن الجنة فى نهايته فيسارع إليها، وأن الحطمة تحت قدميه فيخشى أن ينكب فيها، وأن أعماله فى الميزان فيحب أن يثقل بها.
ذلك لأن القرآن الشريف كرر تلك المعانى على المؤمن لتقوى الذكرى بها، فتكون ذكرا فلا تنسى، ثم يتصورها الخيال فتنطبع فيه بأكمل جمالاتها، فلا تغيب عن النفس طرفة عين، وقد سأل (صلى الله عليه وآله وسلم) سيدنا عمران بن حصين فقال له: (كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت يارسول الله كأنى أرى عرش ربى وكرسيه، فقال له) (صلى الله عليه وآله وسلم): (عرفت فالزم).
فالمؤمن إذا قرأ آيات البشائر بالنعيم والرضوان بحث عن أهلها الذين يتفضل الله عليهم بهذا الفضل العظيم، وفتش عن صفاتهم التى أثنى الله بها عليهم، فسارع إليها، ومسارعته إليها هى مسارعة إلى المغفرة والجنة والرضوان، قال الله تعالى: ((وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ* الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ* وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ* أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ))[1] فسارعوا إلى تلك الصفات التى ذكرها الله تعالى، مسارعة من يعلم قدر النعمة التى ينالها، والفضل العظيم الذى يفوز به، والخير العظيم الذى يحظى به من الله تعالى، ويكون فى عمله هذا كأنه فى أعلى الجنة تصديقا لوعد ربه، وتلذذا بتوفيق الله له للعمل بما يحبه، فيكون كأنه فى جنتين: جنة روحانية وهى بهجة نفسه بالتوفيق والعناية والهداية، وجنة جسمانية وهى تلذذه بطاعة ربه فى تلك الدار الدنيا، ويكون له جنتان يوم القيامة، قال الله تعالى: ((وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ))[2]، وهذا ما ينكشف لك ياأخى عند تلاوة آية البشائر والوعد.

تخيل الوعيد والعقاب :

فإذا أنت قرأت آيات الوعيد والعقاب، اقشعر جلدك، وظهرت لك جهنم بما فيها كما أخبر الله تعالى ظهورا يشيب لهوله الطفل، ونار الحجاب عن الله بسبب الأخلاق والعقائد الباطلة التى تكب المرء على أم رأسه فى نار الغضب، وهى أشد من نار جهنم لأنها المؤدية إليها.
وتخيلت أن من فعل تلك الأعمال، عذب بنارين: نار نفسانية ونار جسمانية. أما النار النفسانية فما يعلوه من الحزن والأسف، وأما النار الجسمانية فما ابتلى به من معصية الله، ويرى الجحيم أمامه مكاشفة، قال الله تعالى: ((كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ {٥} لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ))[3].
فتصور ياأخى - أعاذنى الله وإياك من الأعمال التى توجب غضب الله وسخطه وأليم العذاب يوم القيامة - الذى توعد به الله المخالفين لوصاياه، وارسمها على خيالك عند قراءة الآيات المقتضية لذلك، ثم ابحث عن الأعمال والصفات والعقائد والأحوال التى تؤدى إلى هذا العذاب الأليم، فاجعل بينها وبينك كما بين المشرق والمغرب، واجعل لك حصنا منيعا من سنة مولانا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ووقاية من العمل بهدى السلف الصالح، وخشية من ربك جل جلاله يحفظك الله بها من الوقوع فى مخالفته جل جلاله.
وكن يا أخي كالرجل الجائع الذى إذا ذكر له الطعام تنبهت شهوة الجوع فى معدته

---

(١) سورة آل عمران آية ١٣٣-١٣٦.
(٢) سورة الرحمن آية ٤٦.
(٣) سورة التكاثر آية ٥-٦.

لتخيله طعمه وريحه، فإذا ذكرت آيات البشائر والنعيم تنبهت الرغبة فى قلبك، وتباعدت عما يوجب الحرمان منها.

كرر الله تعالى قصص الأنبياء وأخبار الجبابرة، وأحاديث المؤمنين فى كتابه، لتتجمل عند التلاوة بكل تلك الأخلاق النبوية، وتتباعد عن صفات الجبابرة الطغاة، وتتشبه بمن أثنى الله عليهم ووعدهم الخير المقيم.

كن أنت ياأخى فى التلاوة المأمور، والمنادى حتى تسمع كلام ربك من ربك جل جلاله، وتتلقاه من حضرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فإذا قال ربك: ((وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ)) [1] قلت: لبيك وسعديك سمعا وطاعة لك ياربى، وإذا قال سبحانه: ((إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالمَيْسِرُ وَالأنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)) [2] انكشفت لك حقيقة نجاستها، وصارت أمامك أنتن من الجيفة، وأشد ألما من النار، وقلت: لا حول ولا قوة إلا بالله، أعنى اللهم على ترك ما تكره والعمل بما تحب، فتكون كأنك تخاطب ربك ويخاطبك، ويتكلم معك وتتكلم معه، ولا تقرأه كما ترجعه الآلة الحديدية، وكما ترجعه الأمكنة الخالية بصدى الصوت فيحرم القارئ مشاهدة أنوار كتاب الله تعالى، ويكون كأنه لم يقرأه أبدا.

الخيال والعقيدة

الخيال.. والذات الإلهية

الخيال ومعاني الألوهية :

لما كانت معانى الألوهية والكمالات الذاتية لا ظهور لها فى عالم الحس والخيال، كانت الحكمة الإلهية تتلقى بالسمع، وكلما كانت إشارة صفت الروح وتقوت، وكان لها السلطان الأكبر على الإنسان فجذبته إليها، وتطهر من كل مقتضيات رتبته، وتسلى عن لوازم مكانته، واشتاق إلى عوالم الملكوت حتى يتم الشبه، ولديها يسكن إلى الله فيحركه الله، وهو الساكن المحرك، ويفنى فى الله فيبعثه الله، وهوالميت الحي، ويغيب عن نفسه بالله، فيظهره الله مجملا لخلقه، ويعبد الله خالصا، فيسخر له الله جميع خلقه.

الذات الأحدية منزهة عن الإدراك :

الإنسان إذا ذاق حلاوة الأنس بشهود سر ما أودع فيه من تجليات الربوبية؛ المشهودة بعين يقين ضميره من حضرة الغيب ؛ مال حسه إلى أن يشهد تلك الرتبة - رتبة الربوبية - ، فإذا لم يتداو بدواء سماوى عن تلك الميول الحسية، انعكس نوره ظلمة ، وأنسه بالغيب وحشة، فجسم وأشار ، وجعل الرب ناسوتا جسمانيا قام بلاهوت حيواني، واستدل على ذلك بآية خارقة للعادة، يستأنس بذلك من لم يذق أسرار الغيب ويميل إلى ذلك من لم يشهد نور تجلى الرب ، وقد ظهرت تلك الانفعالات النفسية من قوة الخيال إلى حضرة العيان ، أعنى به سامرى بنى إسرائيل ، وعكف هو وكثيرون على عبادة ما جسمه بيده من الحلي، حتى

---

(١) سورة البقرة آية ٤٣.
(٢) سورة المائدة آية ٩٠.

جاء سر السماء الظاهر على لسان موسى وعصاه ويده، ،فصدع بالحق ، وأبطل الباطل ، وكشف حجاب الحسن عن عين البصر ، فلمعت أنوار البصيرة على أولئك المارقين من حصن الإيمان ، فندموا ندامة محقت أنفسهم الحسية الحيوانية بدليل ((فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ)) [١] فتفضل الإله المنزه فتاب عليهم ، ثم ترجم لسان الربوبية الناطق بلسان النبوة عن حضرة الألوهية بالتنزل الفضلى قائلا: ((إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ)) مشيرا أولا إلى رتبة الألوهية لظهورها حسا ومعنى لكل متدبر ، واختصاص تلك الرتبة بالذات الأحدية المنزهة عن الحيطة والنسبة ، العلية من إدراك العقول والأوهام والخيالات ، فاندهش السامريون لقصير مداركهم وعدم تأهلهم لحضرة القدس الأعلى ، لأنهم لا يمكنهم أن يخصصوا تلك الرتبة بالذات العلية قدرا، التى : العلم بها جهل ، والجهل بها علم . فتنزل فضلا منه وكرما ، وأوقفهم فى موقف الغيب عن الحس، ليذوقوا حلاوة الشهود البصيرى من حضرة الغيب المطلق عن التقيدات الغيبية ، فقال:((الَّذِى لَا إِلَـهَ إِلَّا هُو)) مخصصا تلك الرتبة الألوهية على غيب الهوية ليتيقنوا أن الحق غيب لا يشهد إلا بعين البصيرة ، وظاهر لا يعلم إلا بكشف الحجب الكونية ، فانبعثت من شمس بيان التخصيص الأول بالذات القدسية أشعة أنوار المعرفة لأهل الاختصاص بالقدس الأعلى ، ومن التخصيص الثانى الغيبة عما سواه سبحانه وتعالى، فكانت الرتبة الأولى رتبة المتمكنين من الأنبياء والمرسلين والصديقين ، والرتبة الثانية رتبة المجذوبين للحق بالحق ، أهل الفناء المطلق . ثم أيد معنى اللسان الحقى المشرب الأول والثانى بكلمة هى من جوامع الكلم ، يذوق كل سامع منها حلاوة مشربه قائلا ((وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا)) فالأول شهود السعة الذاتية الماحية لكل شيء والثانى السعة الهوية ، الساريين فى كل شيء ، فثبت قدمه فى حضرة ((وَهُو مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ))[٢] وأشرق أنوار بصره من حيث الوجهة ، فارتفعت ستائر الكون فى لآلئ الغيب وذاق حلاوة ((فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)) [٣] من حيث لا حيث بالنسبة المقيدة ، بل من حيث إطلاق الرتبة المقيدة.

عَلَوْتَ عَنِ ٱلتَّشْبِيهِ وَٱلْكُلّ عَاجِزٌ وَمَا قَدَرُوا قَدْرِى بِوَهْمٍ خَيَالِ

الذات العلية منزهة لا تمثل بالعقول ولا تصور بالخيال

المؤمن إنسان صدق بوحدانية الله تعالى وبصفاته وكمالاته، وبتنزيه ذاته العلية عن تمثيلها بالعقول وتصويرها بالخيال، واستحضارها بكم أوكيف أومثل أونظير، بقدر مرتبته من العلم والشهود، فإنها- تنزهت- علية عن تنزيه الإنسان الكامل: ((وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ)) (الزمر: ٦٧)، ولكن طولب أن يعلم بقدره، وهذا مبلغ علم الحوادث بالنسبة لتلك المكانة العلية المقدسة، وكيف يمكن الإدراك؟ ونحن إنما ننزهها جلت عن نقائص نسبية، ونثبت لها تعالت كمالات وهى تقدست علية عن أن تدرك للطائف عالين، وأرواح الكروبيين والكل فى حيرة، وكمال التحقيق العجز عن الإدراك بعد التمكين من الإثبات.

الخيال ورؤية الله تعالى:

لما كانت الرؤية هى الكشف أو العلم فقد تكون بالبصر للماديات ، وبما يجعله الله للعبد من النور الذى ينال به تلك الرؤية مما فوق المادة ، وكلنا نعلم أن الله تعالى تنزه عن المثل - بكسر الميم وسكون الثاء - وأن الله تعالى له المثل الأعلى - بفتح الميم والثاء - وكما أن الخيال يمثل المحسوسات ، والوهم يمثل الحقائق العقلية فى كل إنسان مهما كان ، فالله تعالى يجعل للمؤمنين نورا يكرمهم به ليتفضل عليهم برؤيته سبحانه بمقدار ما تطمئن به قلوبهم كل على قدره ، قال تعالى : ((وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ))[٤].

ولما كانت الأبصار تقتضي وجود الحقيقة مقابلة لها مفصولة عنها ، وأشعة من النور تنكسر على تلك الحقيقة فى أفق خال من الحجاب حتى يحصل المراد من الرؤية وهو الكشف والعلم ، وكان الوهم والخيال يحتاجان إلى استخدام البصر ليقوما بوظيفتهما ، كانت رؤية الله تعالى بتلك الكيفية مستحيلة ، ومنكرها ممن وقفوا عند هذا الحد لهم العذر ، فإن

---

(١) سورة البقرة آية ٥٤.
(٢) سورة الحديد آية ٤.
(٣) سورة البقرة آية ١١٥.
(٤) سورة الصافات آية ١٦٤

إثباتها لا يقبله العقل المكتسب بتلك الكيفية ، فإذا نظرنا بعيون الإيمان إلى أن القادر الذى جعل عيونا ترى تلك الحقائق بالوسائط التى وضعها سبحانه وتعالى ، قادر أن يهب لأهل محبته نورا يرون به ربهم تنزه وتعالى عن المثل والنظير والشبيه ، قال سبحانه وتعالى : ((لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ)) [١] أى لا تحيط بكنهه الأبصار مطلقا ، لا أبصار الرؤوس ولا أبصار العقول ولا أبصار الأرواح ((وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ))[٢] كلها لأنه سبحانه هو الذى خلقها بعلم وقدرة وحكمة وإرادة ، قال سبحانه : ((أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)) [٣] أى كيف لا يعلم الرب جل ثناؤه من أنشأه من العدم وكيف يخفى عليه من خلق ، وهو اللطيف بعباده الخبير بهم وبأعمالهم وما تكنه صدروهم ؟ !

فِي مَقْعَدِ ٱلصِّدْقِ لاَ بَلْ فِي حَظِيرَتِهِ ... وَ{مَعَ} وَ{عِنْدَ} بِهَا فِكْرِى وَتَصْوِيرِي
بِهَا ٱلْخَيَالُ يُهَنَّى بِٱلْمِثَالِ وَلاَ ... أُنْسٌ بِهَا فَتُدَبَّرْ سِرَّ تَقْدِيرِ
مَا لِلْخَيَالِ وَمَا لِلأُنْسِ إِنْ سَطَعَتْ ... شَمْسُ ٱلْمَجَالِي وَصَارَ ٱلأُنْسُ مَنْظُورِي
سَجَدَ ٱلْخَيَالُ وَلاَ مَعْنًى يُمَثِّلُهَا ... إِذْ ٱلْمَجَالِي مَحَتْ كَوْنِي وَتَحْيِيرِي
وَصِرْتُ لاَ كَوْنَ لِى يُخْفِى مُنَازَلَةً ... وَٱلْوَجْهُ حَيْطَةُ ذَاتِى مِنْهُ تَنْوِيرِي

عجز الخيال عن تمثيل الجناب العلي :

إذا كان الإنسان المسخر له ما فى السموات وما فى الأرض عاجز عن إدراك الخواص الضرورية له ، كيف يحيط بالآيات الخفية عنه إلا بنور يهبه الله لمن يشاء بعد أن يوفقه للعمل بالقرآن المجيد والسنة المطهرة ؟! بعد هذا العجز البين الذى قام عليه برهان العيان كيف يمكن الإنسان العاجز أن يحيط علما بواجب الوجود ، العلى قدرا عن أن تدركه أبصار البصائر ، المنزه قدرا عن أن تحيط به-سبحانه- الأرواح الطاهرة أو النفوس الزكية .

فسبحان من أعجز العقول عن إدراك حقيقة المعقول من الكون المحسوس، وأعجز الأرواح عن أن تحوم حوالى عزته وجبروته ، أو تشرف على علىّ عظمته وكبريائه ، وإنما العجز عن إدراك حقائق الآيات الظاهرة وسر إبداعها وغريب إمدادها برهان على سجود الخيال عن تمثيل هذا الجناب العلى ، ودليل على حيرة الألباب عن إدراك القادر الحكيم . وليس الإنسان وحده هو الطالب الحائر فى عظمة هذا المقام العلى ، بل كل كائن من عوالم الملكوت الأعلى يطلبون الله كما نطلبه ، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن الملأ الأعلى ليطلبون الله كما تطلبونه) وقال الله تعالى : ((وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ))[٤] .

علم الكون وعلم المكون :

كل علم تلقيته بسمعك وخيالك ، ووهمك ، وعقلك ، وذوقك ، ولمسك ، علم الكون ، لا المكون . أما علم المكون سبحانه فإنما يتلقى من إخبار الله سبحانه ، ومن بيان رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهدى أئمة الهدى الذين استودعهم الله علم كتابة وأسرار تنزيله ، ويتلقى المؤمن هذا العلم مسلما ومعتقدا أو مطمئنا به قلبه ، وعند ذلك يجعل الله له سلطانا على قواه الحسية والعقلية والروحية ينفذ به من هذه الأقطار . قال تعالى : ((يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ)) [٥]

الخيال... والذات المحمدية

شهود الخيال لهيكله النورانى (ص) :

---

(١) سورة الأنعام آية ١٠٣.
(٢) سورة الأنعام آية ١٠٣.
(٣) سورة الملك آية ١٤.
(٤) سورة الزمر آية ٦٧.
(٥) سورة الرحمن آية ٣٣.

أهل الفرقة الناجية باستحضارهم حقيقة الاقتداء برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، استحضارا يجعل القلب يطمئن بالعمل ، تتجلى للخيال أنوار ذاته (صلى الله عليه وآله وسلم) في قيامه بالأعمال، فيشهد الخيال بسر المثال هيكله النورانى (صلى الله عليه وآله وسلم)، شهودا تنكشف به لجوهر النفس حكمة تلك الأعمال، والمراد منها.

الخيال وشهود المكانة المحمدية :

على أنى لا أنكر على أهل الحب الوالهين الذين انجذبت قلوبهم إلى حضرة المعية المحمدية إذا سطعت أنوار بصائرهم فأخفت مشهد الأبصار ، فشهدوا بالروح عند دخول المسجد النبوى ما مثله الخيال الصافى من كدرات الأهواء ، واستحضره القلب المطمئن من معانى المكانة المحمدية ، فحصل الخشوع الممزق لأغشية القلب حتى يصرخ الصارخ ، ويصعق الصاعق ، ويغنى المغنى ، ويهتز الواجد ، ويبكى العاشق ،ويتمثل الواصل ، فمنهم من يمد يده مسلما ، ومنهم من ينحنى مقبلا ، ومنهم من يلتمس مخاطبا ، ومنهم من يشكو مشاهدا ، ومنهم من يقبل البشرى ، ومنهم من يسمع . كل ذلك مسلم لأهله مقبول منهم ، لأن مقامات المحبة تتفاوت حتى تنزل السكينة وتحصل الطمأنينة ، ولديها يكون المؤمن وسطا .

وقد سبق لك تفاوت أعمال أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فى زيارته صلوات الله وسلامه عليه مما سبق لك من أعمالهم رضى الله عنهم ، ومن تدبر قول الإمام مالك رضى الله عنه أنه يكره أن يقول : زرت قبر رسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، ويجب أن يقال : زرت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يظهر له جلية هذا الأمر ، وإنما ينكر على أهل المحبة من لم يقرأ علومهم ، ومن لم يتعلم أسرارهم ، ومن جهل شيئا عاداه

وَلِـي فِـي زِيَـارَاتِ آلرِجَـالِ مَشَـاهِدٌ ... تُنَبِّئُنِـي عَـنْ مَنْـزِلِ آلأَبْـدَالِ
لِأَنِّـي بِأَسْتِحْضَـارِ أَرْوَاحِهِـمْ أَرَىٰ ... مَقَامَـاتِهِمْ تَتْـرَىٰ بِظِـلِّ خَيَـالِي

الخيال والمرشد

الخيال واستحضار المرشد :

لما كان لا بد لأهل الطريق فى بداياتهم من تنبيههم ليقظة القلب بالمراقبة، كان لابد فى البداية من استحضار المرشد، استحضارًا يجعل صورته ترسم على لوح الخيال، بالمعانى الفاضلة، التى جمله الله بها، من الاستقامة، والمسارعة إلى تأدية الواجب والنفل، وجميل الأخلاق، والتواضع والزهد، حتى تكون تلك الصورة مواجهة لقلب المريد السالك.

وهى فى الحقيقة محبوبة له فى بدايته، حبًا يجعله يسارع إلى التشبه به فى جميع شئونه، فتنمو فى قلبه أحوال المراقبة، وقد تقوى مراقبة المريد للمرشد، حتى قد تنقش صورته على لوحة الخيال نقشًا، فلا يغمض عينيه إلا ويراه، ومن بلغ من المريدين هذا المبلغ، دل ذلك على أنه مؤهل للرقى على معارج أهل الشهود، ومن المريدين المخلصين من يشهد الأستاذ وهو فى اليقظة بعينى رأسه عند المقتضيات الداعية، لأن صورته منتقشة على الخيال، ولطائف قلبه مراقبة، فعند تقلب قلبه فيما يحبه الله – سبحانه – أو يكرهه الله – سبحانه - تنتبه لطائف القلب، فتشهد البصيرة صورة الإمام المرشد فى لوحة الخيال، فتنفذ أشعتها إلى البصر، فتحجب المشهود عنه، ويرى كأنه مع الأستاذ فى مكان واحد، ومأخذهم فى ذلك، تفسير بعض أهل العلم لقوله تعالى: ((وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ)) (يوسف: ٢٤)، أن سيدنا يعقوب دفعه بيده .

وما ورد عن بعض أئمة الطريق، أنه وقف أمام الروضة الشريفة وقهره حال المحبة والوجد، حتى تجرد عن حسه، فشرفه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بيده الشريفة فقبلها، والأمر روحانى، ولكن حجبت أنوار الروح الحواس، وشهدت فى حضرة إطلاق، وإن ثبت أن الحاضرين رأوا ذلك حسًا، فإن حال المرشد قهرهم، حتى غابوا عن حواسهم، وحضرة الإطلاق ليست حظرًا على أحد شهد أحوال المرشد الكامل، فإن السباع والطيور كم قهرت بأحوال الرجال، فإذا كانت الحيوانات تقهرها أحوال الرجال فكيف بالأناسى؟!

فمراقبة المريد فى البداية تنموبها قوة اللطائف للمراقبة، فينتقل من مراقبة الأستاذ إلى مراقبة حضرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

تخيل رسول الله (ص) ببعض معانيه :

والأستاذ المرشد الكامل هوالختم، أو الصورة المحمدية الكاملة للمريد ، والأمن الروحانى للسالك، فإذا تحقق بمراقبته، ورقاه الله إلى مراقبة حضرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أمكنه أن يتخيله (صلى الله عليه وآله وسلم) ببعض معانيه ومبانيه (صلوات الله وسلامه عليه). لأن السالك لا يقوى على استحضار المعانى والمبانى المحمدية في حال من الأحوال، بل ولا يقوى على استحضار ختم العصر معنى ومبنى، فكيف يقوى على استحضار تلك المعانى المحمدية العلية؟ فإذا استحضر بعض تلك المعانى، سارع إلى كمال الاتباع، وحفظه الله من الابتداع، وترقى إلى أن يكون من أهل معية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بجمال أوصافهم التى ذكرها الله فى آخر الفتح، وإذا قويت روحانيته، حتى شرفه الله باستحضار تلك المعانى المحمدية، وأعانه سبحانه وتعالى بهدايته وتوفيقه للاتباع لحضرته، وجمله بأوصاف أهل معيته عملاً، وحالاً، وخلقًا، ومنّ عليه بوميض أنوار المواجهة، وحصلت له مراقبة الله تعالى فى ظاهره وباطنه، واتصلت روحانيته بالروحانيات العاليات، وسبحت روحه فى الملكوت الأعلى، واقتبس فى مقام فنائه فى المرشد الكامل من مشكاة الأنوار المحمدية، حتى تنبعث فى قلبه أنوار الإلهام، وأسرار القرآن، ويكون لسان بيان وحال تمكين، وإمامًا للمتقين، والله سبحانه وتعالى أسأل أن يهدينا صراطه المستقيم، وأن يجملنا بجمال أهل معية حبيبه ومصطفاه (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأن يعيذنا بوجهه الجميل من الجلال كله، ومن المعصية وأسبابها إنه مجيب الدعاء.

عمل المرشد المخلص ينطبع فى الخيال

إن مواجيد القلوب مواهب ربانية، بابها الرجل العالم المخلص العاشق المحب.فعلى المريد الصادق أن يهتم قبل كل شيء بالبحث عن المرشد، ليتلقى عنه العلم من عباراته وأعماله وأحواله وإشاراته، فإن العلم إذا كان من القلوب وصل إلى القلوب،والحال إذا كان عن عين اليقين أنتج اليقين، والعمل إذا كان عن إخلاص انطبع فى الخيال، والإشارة إن كانت من خزانة الغيوب استنارت بها القلوب. وسنن الأعضاء الأخرى معلومة.

الخيال والأبدال

أبدال الرسل: هم عشرة رجال أو خمسة أو سبعة، وهم جنة عالية، وهم الشجر الذى غرسه الحق بيده، وهم المعنيون بسبعين ألف حجاب من النور، ستروا عن العقول والأوهام والخيالات بساطعة وميض الأحدية، أو رذاذ غيث الواحدية، أو نور زيت المشكاة المحمدية، قال سبحانه: ((هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ)) (آل عمران:١٦٣) ، وهم الذين ألهمهم الله غوامض أسرار الحكمة.

الخيال

فساده وعلاجه

كم أضل الوهم والخيال رجالا :

إن رجالا قبل الإسلام جالت أفكارهم في ميادين الحكمة العملية والنظرية . نعم ، ولكن على غير أساس متين وعلى غير هدى . ولولا أن هذا المختصر لا يتحمل لأوردت لك ما بحثوا عنه وما تكلموا فيه من مباحث الحكمة ، وكشفت لك جلية الأمر ، فعلمت حق العلم أنها أوهام انبعثت أشعة أنوارها على ما أحاط بها من الماديات ، فجالت جولة حتى إذا قربت من فِنَاء أسرار تلك الآثار انعكس دخان تلك النار على الخيال فتمثل ظلمة وراء المادة سر قوله تعالى : ((يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إِلا بِسُلْطَانٍ فَبِأَى آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلا تَنْتَصِرَانِ)) [1] وكيف ينتصرون ولم تنمح حجب الأوهام عن العقول لتنفذ أشعة أنوار العقول السليمة فتخرج سياج المادة بكمال التوحيد ونور اليقين وسلطان العلم بالله تعالى ؟! لعلك اذا قرأت ما قاله الأقدمون فى سياسة الملك ، وفى خواص بعض النباتات والحيوانات، وفيما استنتجوه من نظريات هندسية ومبادٍ حسابية قلت : تلك العلوم الرياضية التى تزكى النفس . ونعم هى تزكية النفس فى طلب المزيد من الدنيا والانغماس فى الشهوات البهيمية ، ولكن هل تمنح نفسك موهبة تفكر بها فى سر الآيات فى الأرض والسموات ؟ وتعلم بها حق العلم سر الحكمة التى لأجلها وهب الله الإنسان العقل وسخر له ما فى السموات وما فى الأرض؟ ما خرجت الحكمة عندهم عن فكر يجول فى ضروريات لا بد منها للإنسان بحياته الدنيوية ، لا للفضائل والمنافع العامة لبنى الإنسان دنيا وأخرى .

مفسدات الخيال

الخمر

الإنسان العاقل إذا حل به أمر يهمه فالواجب عليه أن يهتم به،وأن يسارع فى وجوه

---

(١) سورة الرحمن ٣٢-٣٥.

التدابير التى تدفع عنه هذا الأمر،وعمل بالحكمة التى تخلصه من هذا الأمر.ولا تكون تلك الأعمال كلها إلا بعقل راجح ،وفكر حاضر،ودم نقى تصفو به قوة الخيال . فإذا شرب الخمر ليزول همه جعلته الخمر بهيما لا يعرف الرفعة من الدناءة ،ولا الشرف من الذلة: نعم ،زال همه لأنه إنحط عن رتبة الانسان المفكر ولكنه بلى بهم أكبر وهو تمكن ما أصابه منه حتى لا يقدر على رفعه بعد تمكينه .

فالعاقل يعتقد أن علم الله بوجوه خيره هو العلم الحقيقى وأن مخالفة أحكام الله جهل بالخير وأنك لترى أكثر المترددين على الأطباء هم الذين يرتكبون ما نهى الله عنه بل وترى المكبلين فى السجون والمتسولين فى الطرقات كلهم ممن ارتكبوا ما نهى الله عنه قال تعالى: ((وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَاكَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوعَن كَثِيرٍ)) [1].. صدق الله العظيم.

الربا

قال تعالى: ((الذين يأكلون الربا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ..)) [2]

أى لا يقومون يوم القيامة إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ، والتخبط هو الضرب على غير استواء .

والمتخبط هو الذى يضرب منه البدن ، ومس الشيطان تسليطه على من أضلهم الله فحرمهم من القابل ، فإن الإنسان الذى اختلفت عناصره المكون منها تراه ينزعج لأقل حركة وصوت ، فينزعج انزعاج من فوجيء بصدمة فادحة وكذلك يكون من مسه الشيطان ، فإنا نرى من غلبت عليهم السوأى يتخبطون مما يمثله لهم الخيال فيقول : ادفعوا عنى عدوى أو القوم هجموا على ليقتلونى ، من غير أن يكون ثم شيء ، ولما كان الشيطان جسما ناريا لا تقوى البشرية على ملاقاته كان مسه للإنسان موجبا للتخبط ، وكذلك أكلة الربا إذا قاموا يوم القيامة وشهدوا ما أعد لهم من أليم العقاب وشديد العذاب تذهب أنفسهم شعاعا .

من الرياضة ما يفسد العقول والخيالات

كم أفسد أهل البدع المضلة رجالا من أهل الصلاح ، وكل هؤلاء لاحظ لهم فى الإسلام إلا أن يتوب عليهم فيتوبوا . وشر تلك الطوائف هم الحلولية الذين يأخذون ما تشابه من كلام الله ومن كلام رسول الله ومن كلام العلماء بالله ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، فيفسدون العقائد والعقول بزخرف القول غرورا ، فمنهم من يفسد العقول بالمخدرات كالعنبر والأفيون والبنج والحشيش ، ثم يلقى على من خدعه الكفر فيضله ، ومنهم من يفسد الخيالات بالرياضة التى تفسد العقول ، ولديها يموه عليهم حتى يعتقد أنه رب أو أنه يفعل بأعمال أشبه بالسحر والكهانة ، هؤلاء لوأنهم تذكروا الموت وعذاب القبر وشدة الحساب لتمنوا أن يكونوا ترابا ، ولم يحاربوا الله ورسوله هذه الحرب ولكن ((قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ)) [3] زينت له الحياة الدنيا فأهلك نفسه بها.

ومن دخل الخلوة للرياضة قبل أن يتلقى العلم النافع والفرق بين التشبيه والتنزيه هلك بوهمه وخياله. وكان السلف الصالح لا يدخلون السالك الخلوة وله وهم أوخيال فى هذا الجانب.

فساد الخيال وأثره على العقيدة

﴿١﴾ سورة الشورى الآية ٣٠
﴿٢﴾ سورة البقرة آية ٢٧٥
(٣) سورة عبس آية ١٧.

الحكمة فى إنزال كتب الشرائع السماوية :

إن كتب الشرائع السماوية أنزلها الله تعالى لتكميل النفس الروحانية وسعادة الجسم الإنسانى ، ولا كمال للنفس إلا بالجسم ، ولا سعادة للجسم إلا بالنفس. ولما كان الناموس أنزله الله تعالى لكمال النفس والجسم ، كان ولا بد أن تكون فيه إشارات نفسانية ، ورموز روحانية ، وتصريحات حسية، حتى يتحصل الإنسان على كماله الحقيقى ، ويفوز بالسعادتين بصورته هذه وحقيقته هذه . ولما كان الرسل عليهم الصلاة والسلام إنما بعثوا من عند الله تعالى خالق الخلق ، وكانت بعثتهم لغرض واحد هو تذكير الخلق بما لله على عباده من الفضل العظيم ، والنعمة ليشكروه بالعبادة التى فرضها عليهم ، وما له من القوة والقدرة، ليستعينوا به سبحانه فيما لا بد لهم منه ، وإنه واحد أحد لا شريك له فيقبلوا عليه بكليتهم ملتفتين عمن سواه وما سواه، وكان لابد للإنسان الذى هو مجموع النفس بأنواعها والجسم المركب من العناصر المختلفة من توجه روحانى بإخلاص وصدق ، إلى عظيم كبير لا تدركه الأبصار ولا تحيزه الأفكار، ولا تمثله الخيالات ولا تحيط به العقول ولا بد للجسم من وجهة تناسبه تحيزا يشعر بها قلبه أنه توجه لها بجسمه إطاعة لأمر ربه، واقتداء بعمل رسله وتعظيما لشعائره . وما قرب تنزيه عن المكان والكيف ، قرب حب وود وتعظيم وإجلال . هذه هى سنة الله تعالى التى أنزلت بها كتب الناموس ، وعادته سبحانه وتعالى التى أظهرها لرسله وكلفهم بالعمل بها. لعلك أيها السائل تنكر على تلك السنة الإلهية، ولكن لا تعجل.

فقد قوة التمييز :

الإنسان إذا ظهر بجلده وضح أو بهق أو برص اجتهد أن يخفيه عن أعين الناس ، ولو ظهر للناس وهو غافل خجل خجلا شديدا ، وقام الناس يعيبونه بما فيه. وكذلك إذا فعل فعلة يعلم أن العادة تقبحها أو أن العقل يقبحها اجتهد أن يسترها عن أعين الناس ولو أن آخر رماه بشيء من ذلك مع وضوحه منه ، يجتهد أن يبرئ نفسه منه ما استطاع من قوة وحول وطول . ولكن من الناس من سلبت منه القوة التى تميز بين الخير والشر وبين الضار والنافع وبين الحسن والقبيح . وذلك إما لعناد أو لاستحكام الشهوة أو لأمل عن وهم أو لعدم القوة المدركة. فيقوم الرجل منهم يحمل الصنم على كتفه ، أو صورة الإله الذى يعبده فى يده، ثم يذكر من العقائد ومن الأخلاق ما يجلله بالخزى أمام العقلاء، هو مع ذلك يقوم مجاهرا مفتخرا بما هو عليه ، ولم يقف عند هذا الحد حتى يلقى بنفسه على أجمل الكمالات وأكمل الفضائل فيشينها ، ويجعلها عيوبا ونقائص ، وينشر ذلك بين العقلاء فلا يراه عاقل إلا رحمه ، ولا يسمع كلامه إلا أشفق عليه ، وقال : سبحان الله ! الصورة صورة إنسان ، والعمل عمل خنزير ، أوجعل (الجعران) يترك الخنزير المراعى النضرة والغدران الصافية ويلقى بنفسه فى المراحيض العتيقة والمستنقعات القذرة ويتلذذ ويبتهج، وكذلك الجعران يترك النجم الملتف (النباتات التى لا ساق لها) ثم يسارع إلى أن ينغمس فى العزرة متطيبا بنتها، متطهرا بمادتها النجسة ، متغذيا بسمها الزعاف.

جهل الإنسان بربه :

بلغ من الجهل بالإنسان أنه كلما رأى ما يجهل سببه مما حصل على يد إنسان يقول إن الإنسان الذى حصل على يده هذا الأمر العجيب هو الله. فإن كان مؤمنا بالله يقول : هو رسول الله . فإن كان عالما بمقامات الرسل أنه لا رسول بعد خاتم الرسل يقول: هو ولى الله . وربما كان ساحرا أو كاهنا أو محتالا خبيثا، وإن أقل الأعمال التى حصلت على يد سيدنا عيسى عليه السلام ، تجعل الجاهل يعتقد أنه ابن الله، وأنه هو الله ، أو أن الله حل فيه. ولا غرابة ، فإن الإنسان اعتقد أن النار هى الله، واعتقد أن الشمس هى الله ، واعتقد أن صورة من الحجر صنعها بيده هى الله. وقد كان بعض كهان من الأشوريين والبابليين يضعون الماء فى قدر ويسدون فمه بصمامة ويضعونه فى جوف الصنم ويوقدون تحته النار ، ثم يحضرون أكابر قومهم، فإذا ارتفعت درجة الحرارة قذف البخار الصمام وصار له صوت عجيب، فيقول الكهان للقوم اسجدوا للرب وقدموا له كذا من القرابين، فيقدمون ما يأمر به الكهان فيزول غضب الرب بزوال الصوت، وهذا لجهل الإنسان بعظمة الرب. ومتى جهل الإنسان بهذا الرب العلى ألقاه جهله فى هاويات العذاب الأليم .

تأثير الخيال الفاسد على عقيدة النصارى

فساد الخيال أنتج نفور قوم عيسى منه :

شب عيسى ﷺ بين بنى إسرائيل منظورا إليه بعين الاحتقار، مبغوضا من قومه مرذولة أمه. ولكن الذى خلقه سبحانه وأهله لأن يكون رسولا لبنى إسرائيل يخفف عنهم أثقالهم التى شددوا بها على أنفسهم ، ويبين لهم ما خفى عليهم فى التوراة، ويفك الأغلال التى أحاطت بأعناقهم فأخرجتهم من العمل بالحق إلى العمل بالباطل وكبت وجوههم فى النار بها، فقدر سبحانه وتعالى أن يجدد لهم فى كل يوم آية من طفوليته تلفت إليه الأنظار وتوجه إليه الهمم، وتشغل فيه الأفكار ، وهو مع ذلك لا يناله هو وأمه من بنى إسرائيل إلا ما ينغص الحياة حتى فارقت به قومها.

وكم أكرمه الله فى سفره وحضره بآيات تنبه العقول بقدره: أبدل الله له الماء خمرا عتيقا، وأظهر على يده (عليه السلام) ما يكفى للعاقل أن يعتقد أنه رسول كريم على الله، ولكن الحقيقة التى تقررت فى أذهان قومه نقشت فى لوح خيالهم كالنقش على الحجر جعلت النفوس تنفر منه مع كثرة آياته ، والقلوب تنزعج منه مع وضوح معجزاته.

ماذا لو تجرد النصارى من وساوس الخيال ؟!

ليس حمل مريم بولدها عيسى ﷺ بأعجب من حمل الأرض بودلها آدم . والذى يعتقد أن الأرض ولدت رجلا هو آدم وأن رجلا ولد امرأة هى حواء لأن حواء خلقت من ضلع آدم الأيسر لا يتعجب إذا رأى فتاة بالغة خلق الله منها ولدا. ولو أرجعت الأمر إلى الأمور العقلية الطبيعية ، وجردت نفسك من وساوس الخيال ومن فساد الأوهام لحكمت أن الأمر ليس فوق العقل، ولا يحتاج أن يكون الذى يولد بهذه الصفة هو ابن الله ولا أخاه ، ولا أنه الله جل تجسم فصار ولدا، لأن العناصر الأربعة فى المرأة إذا توازنت توازنا حقيقيا مؤديا إلى كمال الرتبة الحيوانية الإنساينة يجوز أن يتحلل من المجموع المنوى منى صالح لأن يتطور في الرحم أطوار منى الرجال، فيكون منه إنسان ينقصه قوة الشهوة الإنسانية، وثقل الطينة الآدمية، كما حصل كثير مما يقول عنه غير المتدينين إنه من فلتات الطبيعة. ويقول أهل الدين قدرة الله صالحة لكل شيء والله قادر على كل شيء.. نعم خفاء السبب يوجب العجب ، ولكن لم يخف السبب . إذن القدرة التى خلقت إنسانا من الطين ، وإنسانة من إنسان، وجعلت غصنا الذى هو عصا سيدنا موسى (عليه السلام) من شجرة حيوانا يسعى يلقف كل شيء يمر به، وجعلت الريح تصير كبساط يجلس عليه الإنسان "سيدنا سليمان عليه السلام "، ثم تحمله وتطير به. وجعلت تلك الآيات العجيبة المشرقة جلية فى المجموعة الشمسية وفيما بين السماء والأرض وفى الأرض.

كل تلك الآيات لم تكن عجيبة عند العاقل لظهور سببها جليا، وهو قدرة القادر الحكيم. ولكن الجاهل بقدرة الله تعالى، وبكمال تنزيهه سبحانه، وبعلى جلاله وعظيم كبريائه وعزته، إذا رأى آية مما لا يعجب منها العقلاء، يظن أنها هى الله أو جزء من الله، وكفى بالجهل شرا.

عقيدة التثليث منطبعة في خيال الأمم

إن دين البوذيين فى بلاد الهند هو التثليث الذى يسمونه الثالوث المقدس، وله تمثال فى بلاد الهند مرموز له برأس إنسان بثلاثة أوجه ، وفى (نينوا) عاصمة مملكة آشور معبد للتثليث وفى كتاب سكان أوروبا أن بنى الأصفر القدماء تلقوا العقيدة الصنمية عن الأمم المجاورة لهم ، فكانوا يعتقدون أن الإله ثلاثة أقانيم قبل المسيح بقرون طويلة .

والبراهمة فى الهند لهم إشارات فى هذا الثالوث المقدس، تكاد أن تكون أخلاقية أكثر منها اعتقادية، وذلك قبل المسيح بقرون طويلة. وقد وجد فى بعض الآثار الهندية صنم له ثلاثة رؤوس قديم جدا إشارة إلى الثالوث المقدس . أما أكثر سكان الصين واليابان الذين هم البوذيون فيعبدون إلها مثلثا يسمونه (فو) ، ويقولون هو واحد له ثلاثة أشكال. أما المصريون القدماء فإن التثليث أساس دينهم ويرمزون عنه بجناح طير وصقر وأفعى، وقد جعلوا صورا ثلاثة للتثليث كما تقدم.

كان كهان منفيس بمصر يعلمون التلاميذ هذه العقيدة: الأول خلق الثانى، والثانى خلق

الثالث، والثلاثة خلقوا العالم . واعتقاد التثليث أمر دار مع بنى الإنسان دورة حتى انطبع فى خيالهم كما ينطبع الخاتم فى الشمع.

سبب انتشار النصرانية بأوربا :

دخل الدين النصرانى أوروبا بصورته الممزوجة بالصنمية ، فقبلته أوروبا قبول الظمآن للماء القراح، والمريض للدواء الدافع للمرض ، لأنه صورة ما كانوا عليه من التثليث ، وبدلا من أن يكون مثاله حجرا صنع بأيدهم صار مظهره إنسانا حملت به بنت عذراء صديقة بلا أب ، فكان أقرب إلى تلك الأوهام الكاسدة ، وأقرب إلى تلك العقول الضئيلة ، وألصق بتلك النفوس الخبيثة مما كانت عليه .

العقائد المهلكة لا يتصورها المجنون ولا يتخليها الممرور :

قال قوم: إنه ابن زنا. وهو رسول الله وعبد الله وكلمة الله وروح منه فأهلكوا أنفسهم . واختلف الآخرون فمنهم من قال : هو الله فأهلكوا أنفسهم . ومنهم من قال : هو ابن الله فأهلكوا أنفسهم . ومنهم من قال : الثلاثة هو الإله الواحد فأهلكوا أنفسهم. فسبحانك .

عقيدة النصارى لا يتخيلها ممرور :

لا تعجب إذا رأيت إنسانا يعتقد أن خالق السموات والأرض ومبدعها الذى خلق من أنواع المخلوقات ما لا يمكن للعقل أن يتصور حصرها، وخلق الإنسان نوعا من الأنواع وجعله أضعف المخلوقات قوة وأصغرها جسما وأكثرها احتياجا، ثم جعل له العقل الذى لا يسلم إلا للحق ويقوم هذا الإنسان فيقول: إن رب السموات والأرض وما فيهن ورب ما فوق السموات والأرض مما لا يدركه العقل ضاقت به السوات والأرض وما فوقها ووسعه فرج امرأة وضاق عليها فرجها فخرج إلى الدنيا مجسما إنسانا : ((إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ))[1] .

ولم يقف عند هذا الحد الذى لا يتصوره المجنون ولا يتخيله الممرور ولا يتوهمه السكير ولا المبنج ولا مستعمل الأفيون والحشيشة. لأن هذا الخاطر لو خطر على قلب السكير أو المخدر بالبنج أو الأفيون أو الحشيشة لأفاق، وانزعجت نفسه من خاطر يحكم العقل باستحالته، ولكن حكم على الرب المجسم ، لأنه أعدمه جماعة من خلقه فصلبوه وقهروه وأذلوه وأخزوه، ولم يقف عند ذلك الإنسان المسكين الذى هو أقل من النبات ، لأن النبات أهدى منه لأنك ترى النبات يتحول مع الشمس حيث تحولت فيواجهها زهره وورقة لينتفع بها .

نظر الخيال الفاسد إلى الإسلام بعين رمداء :

لم يقف الإنسان عند هذا أيضا حتى قام فألقى بنفسه فى هاوية الخزى بأن نظر بعين رمداء إلى قرص الشمس، فقام يقبحها ويشنع على نورها وحرارتها، وشاركه أمثاله الذين سلبت قوة الإدراك منهم والتمييز ، وقام الإنسان يأتى بالفضائل فيجعلها رذائل وبالمحاسن فيجعلها قبائح حتى قام يشنع على الإسلام تشنيع الخفاش على الشمس ، أو اللصوص على القاضى العادل، أو العالة على الناس على الغنى المقتصد الحكيم ، الذى يحب لأخيه أن يعمل وينتفع بعمله. وقد بينت الأنوار المشرقة التى حجبت الجهالة أبصارهم الكليلة عن رؤية محاسنها، ولا تنقص الشمس إذا رأى كليل البصر نورها ظلمة ، ورأى الفضائل رذائل لأنه مفقود العقل.

الخيال والنظر إلى الإسلام بعين رمداء :

إذا كنت مريضا وتعلم أن دواء الطبيب مر أو مؤلم، وذكر لك الطبيب انزعجت نفسك وتصورته فى خيالك بأقبح صورة ، وانقبض صدرك وضاق قلبك به، فإذا وقع نظرك عليه ومعه راحتك،وبإقبالك عليه شفاؤك، وبتسليمك له عافيتك لم تره بحقيقته؛ ولكن يحجب بصرك عنه المثال الذى تخيلته، فتراه وحشا ضاريا أو سبعا مفترسا،وتفر منه،وربما ألقيت بنفسك من شاهق لتموت ولا تراه.

هكذا أنت أيها الإنسان الجاهل بكمالات نفسك ، الضال عن طريق ربك، تتمثل كلام الله

---

(١) سورة البقرة آية ١٥٦.

الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بصورة حكم بها خيالك الفاسد،وقلبك المظلم ونفسك الخبيثة، فلا يقع نظرك عليه إلا وحكمت عليه بما حكم به المريض الجاهل الأحمق على الطبيب الرحيم الشفيق، وفيه شفاؤك من أمراض نفسك وعافيتك من آلام الدنيا والآخرة وسعادتك الأبدية.

الخيال والمعجزة المحمدية :

العقل إذا شهد آية يجهل سببها يعجز عن التصرف فيها ويقوم الوهم والخيال يقضيان بلا ميزان ، ولكن الله تعالى جعل معجزة خاتم رسله وبرهان خير خلقه المبشر به كل رسله السابقين ، نور حكمة وبيان، وأسرار موعظة وفصل خطاب . فثبتت العقول على الحق وقبلته بتسليم ، فكمل التوحيد بكمال التنزيه عن التشبيه والتحديد والإدراك .

جاء بما ابتهجب به النفوس، واطمأنت به القلوب ، وعقلته العقول بقلوب مسلمة سالمة، حتى ملأ الأرض عدلا ونورا، مما تمثله الخيال مثالا سجد أمامه إجلالا لما جاء به هذا السيد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وخشع العقل إكبارا لما بينه له (صلى الله عليه وآله وسلم) وأقامه له من البراهين .

الخيال وعقيدة التوحيد

شمس التوحيد مشرقة فى أفق صحو، وآيات التوحيد ناطقة بلسان فصيح ، إنك سبحانك أحد صمد لم تلد ولم يكن لك كفوا أحد ما الذى دعاك أيها الإنسان أن تنزل عن مقامك العلى إلى أسفل سافلين رتبة الجمادات.

الخيال الفاسد وأثره على المبتدعين والمتساهلين

الخيال والابتداع :

الابتداع عبارة عن انسدال ستارة الحس على أشعة أنوار الروح التي شهدت وقالت بلى ، فتميل تحت ناموس القوى الحسية ، وتنصبغ بصبغتها ، وتجول في تلك المحسوسان عما فيها من الأسرار الربانية التى أشهدها لها ربها فى مقام (أَلَسْتُ) فتختلف عليها المشارب ، وتمزج منها الأنوار بظلمات تلك الحجب ، فترى انكسار أشعة الواحدية تعددا ، وتنزه طلاسم الأحدية تشبيها ، ومظاهر الوحدانية غيرا ، وتتبع الهوى وتتخذه إلها وتنأى عن العهود المأخوذه ((أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ)) [1] ومتى تسلطت تلك المحسوسات أظلم أفق التشريع ، وفهم خلاف ما أراده الشارع ، ويستنتج من الأحكام الشرعية أحكاما بدعية ضلالية ، ليجعلها الصراط المستقيم فتارة يبيح المحرم ويحرم المباح . وهكذا تتوالى عليه الخيالات والأوهام حتى يضل ويضل ، ويتساهل بالواجبات الشرعية الشريفة ، ولديها يكون شبيها بإبليس رأس الغواة. نسأل الله تعالى أن يحصننا بحصن الشريعة، ويطهر قلوبنا باتباع أسراره النبوية ، إنه قريب مجيب.

إِذَا تَجَرَّدْتَ عَنْ قَيْدِ الْعَنَاصِرِ فِي ... فَكَّ الطِّلاَسِمِ عَنْ وَهْمِي وَتَرْدِيدِي
وَعَنْ خَيَالِ بِهِ الْمَعْنَى مُمَثَّلَةً ... وَعَنْ عَنَاصِرِ الأُولَى وَتَقْيِيدِي
يَلُوحُ فِيَّ جَمَالُ عَيْنِ صُورَتِهِ ... مُنَزَّهًا لاَ بِبُعْدٍ أَوْ بِتَحْدِيدِ

انحراف الخيال نتيجة التقصير والتساهل

أنتج التقصير والإهمال لقس النفس ، ومرض العقل، وانحراف الخيال، وضعف الوهم، وانضواء الفكر، واضمحلال الإدراك ، حتى صار الإنسان أضل من الأنعام، وشرًا من الشيطان، فأصبح أهل التقصير والتساهل ممن يدعون الإسلام كالبهائم الراتعة، يقودهم العدو إلى مهاوى الهلكة، فيقلدونه تقليد الأعمى، ويتبعون كل ناعق، فإذا قال قائل: حرية أوربا وحضارتها وعدلها وعلومها وصناعتها، أنكروا ما هم عليه من الفضائل والكمالات، وسارعوا إلى التقليد .

---

(١) سورة الأعراف آية ١٧٢.

علاج فساد الخيال

أيها الإنسان :

أنت لا تقبل فى فمك إلا ما استحسنت عيناك ، وقبله لمس أصابعك وألفه ذوقك مما لا يضرك ولا ينفعك من جرعة ماء أو قطعة خبز ، فكيف تقبل أيها الإنسان العاقل ما يهلكك راضيا به متعصبا له مما لم يعترف به عقلك ولم يتمثله خيالك ؟! إن قوة حسك التى تدفع عنك ما لا لذة فيه مما لا يضر دلت دلالة صريحة أنك لست إنسانا لأنك لو كنت إنسانا تعقل لدفعت ما يهلكك عنك من العقائد الباطلة والأخلاق الفاسدة والأوهام المضلة بقوة عقلك كما دفعت ما لا تتلذذ به بقوة حسك .

رد الأوهام والخيالات إلى الأحكام الشرعية :

يجب على الواصل أن يرد الرسوم: وهى أو هامه، وخيالاته، وظنونه الناتجة من حظوظه وشهواته، إلى الحقيقة التى هى الأحكام الشرعية، وهذا الظن السيئ جعل كثيرا ممن وقفوا عند قشور الشريعة من العلماء أهل الظاهر، يؤولون كلامنا إلى غير ما نريده، بحسب ما وصل إليه مبلغهم من العلم، فأنكروا علي الرجال حالهم وكشفهم، لما فهموه وما رأوه من أهل الضلال الجهال. ولولا أنى أكره أن أشغل الواصلين بما لا فائدة فيه، لكشفت لهم الحقيقة فى هذا الموضوع، ولكنى أكل نفسى وأكلهم إلى الولى الذى يتولانا بولايته، وأنبه إخوانى إلى نظر هذا الموضوع بفكر وروية، وأن يتذوقوا من كلامى ذوقا لا يخرجهم عن مرادى إلى ما يخالف الشرع الشريف، أسأل الله أن يحفظنى وإخوانى والمؤمنين جميعا من السير فى طريق الله على غير هدى، وأن يمن علينا جميعا بسوابغ إنعامه، ومزيد فضله، إنه مجيب الدعاء رب العالمين.

تحكيمه^ فيما شجر بين الحقائق

قال سبحانه : ((فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِى أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا)) [1] ومما يجب أن نحكم الله ورسوله فيه ما شجر بين عقولنا وأنفسنا ، وبين الخيال والوهم والحس والجسم، بل وبين كل تلك الحقائق وبين ما جاءنا به رسول الله (ص) .

وَمَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ بَصَائِرٌ ... رَأَتْ سِرَّ عِلْمٍ قَدْ مَنَحْتَ حَنَانَا
بِوَهْمِ خَيَالٍ قَدْ يَرَى ٱلْغَيْرُ غَامِضًا ... وَكَذَّبَهُمْ فِيهِ ٱلْفُؤَادُ وَرَانَا

الرؤية بعين الحق لا بالخيال

فَفِى ٱلْبَدْءِ نُورًا كُنْتَ فِى ظِلِّ قُدْسِهِ ... أَرَاهُ بِعَيْنِ ٱلْحَقِّ لاَ بِخَيَالِ

صفاء الخيال مرتبط بصفاء القلب

المريد بصفاء قلبه تدوم له لطائف القدس ويصفوخياله ويقابل الملكوت الأعلى، فإذا فتح على نفسه بابا من أبواب الفتنة والشر، حجبت عنه تلك الأسرار،وانمحت تلك الأنوار. والمريد الصادق عنده نفَس يشرف فيه على ملكوت ربه أنفس من الدنيا وما فيها، فكيف يرضى بالقطيعة بعد الوصول؟ وبالبعد بعد القرب؟ وبالحجاب بعد الشهود؟ وبالنسيان بعد الذكر؟ وبالغفلة بعد الحضور؟ ... تحقق أنه لا يرضى بذلك مريد مخلص ولا طالب صادق، وهل عاقل يتحقق أن طعاما ما أو شرابا ما يضر صحته يتناوله؟

تمثل الخيال للدار الآخرة

وهوأدق الحصون وأخفاها لأنه حصن النجاة، وهوأن تتحصن بأن تمثل لخيالك صورة الموت فالبرزخ فالحشر فالميزان فالصراط فالوقوف بين يدى الملك القهار فمغفرة وفضل ورضوان، أو- والعياذ بالله - عقاب وخسران وعذاب، فإنك باستجلاء تلك المعانى فى خيالك تحتقر الدنيا وإن أقبلت بمن فيها وما فيها، ولا تأمن جانب ربك ولومنحك (كن)،

---

(١) سورة النساء آية٦٥.

وتحذر إخوانك ولو ملكوك أنفسهم وأموالهم خشية أن تغتر بهم فَيَهلك المغرور ويُهلك، وإهمال هذا الحصن سبب القطيعة ومدارج البعد ومهاوى السخط، فتنبه أيها الأخ حصننى الله وإياك بحصون حفظه ووقايته وإخواننا المؤمنين أين كانوا وكيف كانوا .

تطلب مؤلفات الإمام المجدد

السيد محمد ماضى أبو العزائم عليه السلام

من مكتبة دار الكتاب الصوفى

تليفون المكتبة / 002 022 3901030

١١٤ش مجلس الشعب

فى جانب تفسير القرآن :

١- هذا السفر الجليل " أسرار القرآن ".

٢ تفسير سورة القدر.

فى جانب العقيدة :

١- كتاب عقيدة النجاة .

٢- كتاب الإسلام دين الله وفطرته التى فطر الناس عليها.

فى جانب العلوم الفقهية:

١- كتاب أصول الوصول لمعية الرسول (ﷺ وآله).

٢- صيام أهل المدينة المنورة.

٣- هداية السالك إلى علم المناسك .

فى جانب السيرة النبوية والرد على المستشرقين:

١- سيرة النبى (ﷺ وآله)

٢- وسائل إظهار الحق .

فى جانب ما يجب أن يعرفه المسلم :

١- النشأة الثانية.

٢- الوسيلة وما إختلف فيه من السنة والبدعة.

٣- الشفاء من مرض التفرقة.

٤- الجفر.

٥- تحذير الدين من بيع أراضى فلسطين.

٦- النور المبين لعلوم اليقين ونيل السعادتين.

٧- الرد على نظرية دارون.

فى جانب الأخوة الإسلامية :
١- الإسلام نسب يوصل إلى رسول الله (ﷺ **وآله**).
٢- الإسلام وطن والمسلمون جميعا أهله.

فى جانب المناسبات الدينية :
١- السراج الوهاج فى الإسراء والمعراج
٢- بشائر الأخيار فى مولد المختار
٣- مشارق البيان فى فضائل شعبان
٤- لبيك اللهم لبيك.

فى جانب المسرحيات الدينية :
١- محكمة الصلح الكبرى.
٢- العالم والتاجر والفلاح.
٣- المقتصد والمسرف والفاسد.
٤- السياسى والحكيم والغشيم.
٥- الصالح واللص والسكرى.

فى جانب الصلوات والأدعية :
١- نيل الخيرات بملازمة الصلوات.
٢- الفتوحات الربانية والمنح النبوية فى الصلاة على خير البرية.
٣- الأدعية والاستغاثات الكبرى.

فى جانب التصوف :
١- شراب الأرواح من فضل الفتاح.
٢- تذكرة المرشدين والمسترشدين.
٣- معارج المقربين.
٤- الطهور المدار على قلوب الأبرار.
٥- من جوامع الكلم.
٦- الطريق إلى الله تعالى.
٧- الفرقة الناجية.
٨- دستور السالكين طريق رب العالمين.
٩- دستور آداب السلوك إلى ملك الملوك.
١٠- مصطلحات الصوفية
١١- آداب أل العزائم
١٢- دروس تزكية النفوس
١٣- موارد أهل الصفا
١٤- قبس من المضنون
١٥- الصوفية والتصوف

فى جانب المواجيد:

١- مواجيد شهر محرم، صفر، ربيع أول، ربيع آخر، جماد أول، جماد آخر، رجب، شعبان، رمضان.

٢- المواجيد العزمية فى مواجهة الروضة الحسينية.

٣- ديوان ضياء القلوب من فضل علام الغيوب.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
فاتحة الكتاب	
الفصل الأول : الإنسان وقواه .....(٩-٢٥)	
آيات الله في الإنسان	
عناية الله تعالى بالإنسان	
الجسم	
النفس واحدة	
قوى الإنسان	
القوى التي لا تفارقه	
القوى المفارقة	
بيان تلك القوى.....	
ترتيب تلك القوى	
أعضاؤها	
سلطان النفس الأمارة	
الفصل الثاني : الخيال .. مكانته ووظيفته.....(٢٧-٥١)	
الفرق بين الوهم والخيال	
موضع الخيال	
وظيفة الخيال	

الموضوع	الصفحة
الخيال رئيس المحسوسات	
ميل الحس إلى المنفعة	
الخيال والتفكر فى سوابغ النعم	
الخيال والعلم	
الخيال لا يؤدي إلى علم اليقين	
الخيال .. وتزكية النفس	
القلب والخيال	
الخيال والروح	
بتزكية النفس يعجز الخيال	
الخيال .. وتمثل النعيم والجحيم	
تمثل الخيال ملاذ الجنة	
تخيل الوعيد والعقاب	
الفصل الثالث : الخيال والعقيدة.....(٥٣-٦٩)	
الخيال.. والذات الإلهية	
الخيال ومعاني الألوهية	
الذات العلية لا تمثل بالعقول ولا تصور بالخيال	
عجز الخيال عن تمثيل الجناب العلي	
الذات الأحدية منزهة عن الإدراك	
الخيال ورؤية الله تعالى	

الموضوع	الصفحة
الخيال .. والذات المحمدية	

شهود الخيال لهيكله النوراني صلى الله عليه وآله وسلم .....
الخيال الصافي وزيارة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .....
الخيال .. والمرشد .....
مراقبة المرشد ترقي إلى مراقبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ...
عمل المرشد المخلص ينطبع فى الخيال .....
الخيال والأبدال .....
الفصل الرابع : الخيال .. فساده وعلاجه.....(٧١-٩٢)
كم أضل الوهم والخيال رجالا .....
مفسدات الخيال .....
الخمر .....
الربا .....
الرياضة قبل تلقى العلم النافع .....
فساد الخيال وأثره على العقيدة .....
الحكمة في إنزال كتب الشرائع السماوية .....
فقد قوة التمييز .....
جهل الإنسان بربه .....
الخيال الفاسد وعقيدة النصارى .....
فساد الخيال أنتج نفور قوم عيسى منه .....

الموضوع **الصفحة**

ماذا لو تجرد النصارى من وساوس الخيال ؟! .....
عقيدة التثليث منطبعة في خيال الأمم .....
سبب انتشار النصرانية بأوربا .....
الخيال الفاسد وأثره على المبتدعين والمتساهلين .....
الخيال والابتداع .....
انحراف الخيال نتيجة التقصير والتساهل .....
علاج فساد الخيال .....
أيها الإنسان .....
رد الأوهام والخيالات إلى الأحكام الشرعية .....
تحكيمه صلى الله عليه وآله وسلم فيما شجر بين الحقائق .....
تمثل الخيال للدار الآخرة .....
صفاء الخيال مرتبط بصفاء القلب .....
الفهرس .....

******